١٣٤

روايات احلام

# قضبان من حرير

www.rewity.com
بلا عنوان

# ١ ـ سياسة! سياسة!

كانت قاعة الرقص في سفارة «مونتي راڤيردي» متصلة بالفناء المخصص لمائدة الطعام، للسماح بممر للضيوف بين المكانين.. وكانت الليلة متلألئة بالأنوار الملوّنة المبهرة. والسقف المرتفع القنطرة بلوحاته المزخرفة، مضاء بمصابيح خفية متعددة الألوان.. وكانت الأعمدة المرتفعة التي تدعم السقف مزينة بنباتات استوائية معترشة ذات عطر فواح. بينما كانت الفرقة الموسيقية في مكانها عند الطرف الآخر لقاعة الرقص.. وكان الراقصون بملابس السهرة البراقة يقدمون عرضاً مستمراً ممتعاً للأنظار تفوح منهم رائحة العطور الزكية الغالية ممتزجة برائحة التبغ الهافاني.

تطلعت فيلومينا ديناري إلى المكان الذي كانت فيه سوزان وأبويها منذ لحظات، تتساءل كيف هي ردة فعلهم على هذا الجو الغامر، ووجدت نفسها وحيدة.

على الفور أحست بشيء من الحزن وأخذت عيناها تبحثان في الجموع المتحركة حولها دونما اكتراث.. لم تكن معتادة على حفلات استقبال مثل هذه.. الواقع أن هذه هي الحفلة الأولى التي تحضرها، وهي لم يمض عليها في البرازيل وقت كافٍ لتحس بالثقة فهي لا تتكلم لغة البلاد. على أي حال لم يكن في حياتها مع والدها في انكلترا أحداث كثيرة.. وعند وصولها إلى الريو للإقامة مع سوزان وأبويها وجدت طبيعة حياتهم البراقة مرعبة.

استدارت وبدأت تشق طريقها عبر جموع المدعوين المحتشدة محاولة تجنب نظرات الغزل.. تتساءل طوال الوقت كيف يمكن أن تكون حمقاء هكذا لتفترق عن أصدقائها.

وصلت إلى زاوية مختطرة مسقوفة في أحد الممرات الموصلة إلى غرفة الطعام، وتنفست الصعداء، ونظرت حولها يائسة متلهفة لرؤية وجه مألوف.. فجأة، ودونما إنذار، اصطدمت بقوة صلبة، وأمسكتها ذراعان قويتان لتحولا دون سقوطها المؤكد إلى الخلف.

بدأت تعتذر:

ـ أوه.. أرجو المعذرة!

وبدأت تخلص نفسها بسرعة، رفعت بصرها فوقع نظرها على وجه شديدة السمرة، يلفت الأنظار.. كانت عيناه تنظران إليها بنظرات تشع من خلالهما روح الدعابة.. فجأة تركها الرجل وتراجع عن طريقها، فتابعت فيلومينا طريقها بسرعة وإحساس بالقشعريرة في ذراعيها من لمسته غير المتوقعة.

بدأت بالتساؤل ماذا يمكنها أن تفعل؟ ومرة أخرى أمسكت يد ذراعها، ولكنها هذه المرة سمعت صوت سوزان المألوف، النافد الصبر:

ـ فيل.. ! ماذا تفعلين؟ كنت أبحث عنك في كل مكان!

استدارت فيلومينا وابتسامة الارتياح ترتسم على وجهها المتورد خجلاً.

ـ أوه سوزان! شكراً للسماء! هذه أنت! بدأت أفقد الأمل في العثور عليك.. ما الذي حدث، وأين ذهبتم؟

رفعت سوزان رأسها:

ـ أين ذهبنا؟ يجب أن أسأل أنا هذا السؤال.. اضطر أبي وأمي للذهاب للتعرف إلى السفير، وكنت معهما. حسبنا أنك معنا كذلك.. لكنك لم تكوني!



عضت فيلومينا على شفتها.

ـ أوه.. أنا آسفة سوزان. أعتقد أنني كنت أنظر حولي بشغف إلى كل شيء.. ولا شك أنني لم أسمع ما تحدثتم عنه.

تنهدت سوزان:

ـ حسن جداً، تعالي، أمي وأبي ينتظران هناك.

ودست ذراعها بذراع فيلومينا قائلة بمزاح:

ـ أليس هناك فساتين بسيطة؟ هل رأيت تلك المرأة الضخمة بالفستان المشابه لخيمة.

ضغطت فيلومينا على ذراع سوزان:

ـ هذا كلام غير لطيف.. لا شك أن ثمن الفستان يفوق عشرات المرات ثمن هذا.

ونظرت إلى ثوبها، بلوزة من الكريب الأزرق القاتم، وتنورة طويلة، وكان ذلك بالرغم من كل شيء مناسباً جداً للون شعرها الفاتح.

نظرت إليها سوزان بشيء من الحسد:

ـ يجب أن تعرفي أن أرخص الثياب أنيقة عليك.

لطالما قالت سوزان ما تفكر به، وإذا قالت يوماً شيئاً أزعج من يستمع إليها فهي لا تقصده.. كان والدا سوزان، السيد والسيدة ويزلي مشغولين بحديث مع رجل مسن وامرأة يبدو أنها زوجته، قالت سوزان لفيلومينا بصوت منخفض إنه سكرتير السفارة..

وأكملت تنظر حولها:

ـ هذه المناسبات رسمية دائماً.. يبدو أن الجميع يمضي وقته في الحديث عن السياسة أو الأعمال.

وتنهدت استسلاماً.

ـ لكنها مناسبات مثيرة للاهتمام.. أليست كذلك؟ أعني.. هل تحضرين مناسبات كثيرة كهذه؟

ـ أوه.. يا إلهي، أجل.. لم يمر على وجودك هنا سوى ثلاثة أيام فيل، لكنك ستعتادين على هذا سريعاً.

ابتسمت فيلومينا:

ـ أتصور أنني إلى أن أعتاد على هذا أكون قد غادرت البرازيل. على أي حال وعدت أبي أن أعود إليه بعد أسبوعين.

رفعت سوزان كتفيها:

ـ أجل.. هذا مؤسف. مع ذلك فأنا مسرورة لمجيئك. ولولا أن والدك مدعو إلى جولة محاضرات في كاليفورنيا، لما كان سمح لك بالمجيء وحدك.

ـ هذا صحيح.. فمنذ وفاة أمي أحسّ بمسؤولية كبيرة تحوي.. وهذا في الواقع ما جعلني أذهب إلى باركنبوري وأنا أشك أن والداي، في ظروف عادية، كانا قادرين على تحمل مصاريف مدرسة داخلية كهذه.

رفعت سوزان حاجبيها وقالت بسخرية:

ـ عندما ما كنا التقينا، ولكان هذا أمراً مؤسفاً. على أي حال لا تهتمي.. أنت هنا الآن ولا تتصوري كم هو رائع أن يكون مع المرء شخص يتحدث إليه.. لا يوجد أشخاص في مثل عمري في الوسط الدبلوماسي وأنا أحياناً أحس بالاكتئاب لمجرد تفكيري كم سيبقى والدي هنا في مهمته.. كم أحسدك لحياتك في انكلترا قرب لندن، أضيفي إلى ذلك أن هذا المكان غير متمدن بالمقارنة مع لندن.

رفعت فيلومينا حاجبيها الأسودين.. وقالت:

ـ لا أظن أن البرازيليين سيسعدهم سماع وصفك لعاصمتهم الحديثة، سوزي.. إضافة إلى هذا فأنا أعتقد أن الريو مكان رائع.. كما أنني لا أجد لندن ملهمة كثيراً.. وأفضل «فرايروارن» دائماً.

ارتشفت سوزان عصيرها وهزت رأسها:

ـ أذكر «فراير وارن» جيداً.. ولقد تمتعت بزيارتي إلى هناك..



كان والدك لطيفاً جداً معي.. أذكر أنه أيام الخطابات وتوزيع الجوائز، حين لم يكن والداي قادرين على الحضور كان يجعلني أحس أنني جزء من عائلتكم. إنه رائع.. وهو صغير السن.

ضحكت فيلومينا:

ـ يحبّ أن يسمعك تقولين هذا.. إنه في الثانية والأربعين.. وتعرفين هذا.

ـ من المؤسف أن أمك توفيت هكذا.. أعني لو أن الزائدة عضو غير ضروري، فلماذا أعطينا واحدة؟

ـ من يدري؟ على أي حال مضى على هذا زمن بعيد، وكنا نتحدث عنك وليس عني. لا شك أن لك أصدقاء هنا؟

أنهت سوزان كوبها:

ـ ليس الكثير، فكما قلت من قبل لا يوجد شبان في السلك الدبلوماسي هنا.. والكبار في السن ليس لهم أولاد في مثل سني!

ـ لكن الكثير من الشبان هنا الليلة!

رفعت سوزان عينيها ساخطة:

ـ أوه! أجل.. هناك شبان.. لكن أبي لا يشجعني على الاختلاط بالأميركيين الجنوبيين!

ـ يا للسماء.. لماذا؟

ـ يقول إنهم جنس بشري متقلب، سريع التأثر عاطفياً وغير مستقر.. وبصراحة حبيبتي، لا أحس بأي تأثير للسحر اللاتيني عليّ!

نظرت فيلومينا إلى صديقتها بذهول:

ـ إذن يجب أن يكون كل أصدقائك من البريطانيين، أليس كذلك؟

ـ ليس تماماً.. فالأوروبيون ليسوا بسيئين، والأميركيون الشماليون مقبولون تماماً.

هزت فيلومينا رأسها:

ـ حسن جداً.. أظنك تضيعين فرصة لا تعوض.. وبصراحة والدي لن يفكر إطلاقاً في أن يؤثر على قراري حين يصل الأمر إلى اختيار أصدقائي.

نظرت سوزان بامتعاض قائلة:

ـ أوه.. تعرفين أن والدي خجول جداً في الأمور الاجتماعية، وأمي تضطرب جداً لو افتعلت فضيحة..

استدارت فيلومينا، وقدماها دون وعي تتحركان مع إيقاع الموسيقى التي تعزفها الفرقة الثلاثية.. إنها تفهم مشكلة سوزان لأنها تعرف السيدة ويزلي.. وتعرف عقلية السيد ويزلي المتزمتة والمحافظة.. وهي شخصياً ترى في البرازيليين ذوي البشرة السمراء مزيجاً مثيراً جذاباً من أسلافهم البرتغاليين المعجرفين، وفرسان ذو شهامة.. لكن لم يكن هذا من شأنها.

أنهى والدا سوزان حديثهما مع المسؤول في السفارة وعادا للانضمام إلى ابنتهما وفيلومينا.. ليقول السيد ويزلي مرحاً:

ـ حسناً فيلومينا! هل تستمتعين بوقتك؟ لقد أضعناك ونحن ندخل.

ابتسمت فيلومينا بأدب:

ـ كان كل شيء حولي غير عادي ومثير ولم أسمع ما قلته لي.. لكنني أمتع نفسي.. لم أكن أعرف أن هذه الحفلة ستكون مثيرة.

هز السيد ويزلي رأسه:

ـ أوه.. هذه المناسبات مهمة عادة.. وخاصة هنا في سفارة مونتي رافيردي. في الوقت الحاضر هناك مشاكل في مونتي رافيردي، وبصراحة أرى أن حفل الاستقبال هذا محاولة متعمدة لإظهار مكانة السلطة.

استمعت فيلومينا باهتمام حقيقي.. وسألت باهتمام:



ـ أتعني أن من المحتمل قيام ثورة هناك؟

ضحك السيد ويزلي:

ـ لا أظن هذا! فالرئيس سواريز لن يخاطر أبداً في أن يترك أحداً يخلعه عن الحكم.

أخفض صوته:

ـ هناك شائعات تقول إنه سيتخذ إجراءات انتقامية ضد حفنة من المتمردين أسروا منذ أسابيع.. هم في الوقت الحاضر في سجن «سواريتوفا» بانتظار المحاكمة والإعدام.

ـ سواريتوفا؟ ألا يشبه الاسم اسم الرئيس؟

فرقع السيد ويزلي بلسانه دلالة نفاد صبر:

ـ بالطبع! هؤلاء الثوار يحاولون دائماً تخليد أسمائهم بتسمية الطرقات العامة والبلدات بأسمائهم.. ثم تأتي الحكومة التي تلي وتعيد التسمية على صورتها.

هزت فيلومينا كتفيها:

ـ أعتقد أن هذه هي الحياة.. وهذا ليس حكراً على أميركا الجنوبية.. ألم يُسمى مطار كيندي باسم الرئيس الراحل للولايات المتحدة؟

رمقتها السيدة ويزلي بنظرة نافدة الصبر:

ـ هذا أمر مختلف فيلومينا.

ثم أدارت الحديث إلى مسألة أخرى:

ـ أليس ذلك الجنرال روثفورد الواقف هناك جايمس؟

حوّل السيد ويزلي نظره بعيداً عن الصورة الجذابة التي يرسمها ثوب فيلومينا الكحلي، وشعرها القطبي المنتشر على كتفيها كالستار.. ونظر في الاتجاه الذي دلت عليه زوجته:

ـ أجل.. وهذه زوجته هناك. أتريدين أن تقابليها؟

تجهم وجه السيدة ويزلي:

- لا . . شكراً لك! تصور! رجلٌ في مثل سنه يتزوج فتاة صغيرة مثلها! لا شك أنه في الأربعين من عمره.

علقت سوزان بخشونة:

- كنت ستزوجينني له . . وأنا في الثانية والعشرين، وأليستي تقارب عمري.

قطبت السيدة ويزلي جبينها:

- هذا أمر مختلف . . فأنت . . ناضجة بالنسبة لعمرك.

نظرت سوزان إلى فيلومينا بسخرية، وقالت همساً:

- يجب أن تكوني ممتنة لأن ليس في أعقابك «رئيسة» طموحة . .

أخفت فيلومينا ابتسامة.

انضم اثنان من الملحقين وزوجتيهما إلى المجموعة، وبما أن الرجال كانوا قد رقصوا مع زوجاتهم، لم تعترض النساء حين دعا الأزواج فيلومينا وسوزان للرقص . . وابتهجت فيلومينا لخلاصها من حديث السيدة ويزلي الممل، وأخذ شريكها البوت بارتلي يسليها بإخبارها عن بعض ضيوف الحفلة . . فقد كان هناك وجوه الشاشة الصغيرة اللامعين، ونجوم السينما، والسفراء والقناصل، وبعض الرسميين.

في وقت لاحق من تلك السهرة، جلس الجميع في غرفة الاستقبال القريبة من «البوفيه» يتلذذون بأكل الأطعمة الشهية.

كان الزوجان بارتلي وبيل مايكبيس وزوجته مع المجموعة، وانضم إليهم ضابط أميركي اسمه رود ايرفنغ . . جلس الجميع يتحدثون بمودة في غرفة الاستقبال. فجأة شاهدت فيلومينا الرجل الذي اصطدمت به لكنه لم يكن لوحده، كان يصحبه رجلان وفتاة . . بفضول التفتت إلى البوت بارتلي وسألته:

- من هم هؤلاء؟ أتعرف؟



مالت سوزان الجالسة إلى الجهة الأخرى لتستمع، ولحق نظر البوت اتجاه نظرها باهتمام:

- أوه . . تعنين الأخوة مارتينز . . ريموند وأندرو مارتينز . . ذلك الرجل المسن معهما هو بروسبيرو مارتينز . . عمهما، أما الفتاة فلا أعرفها . . لماذا تسألين؟

احمر وجه فيلومينا وهزت كتفيها:

- مجرد فضول، هذا كل شيء!

تفحص البوت تعابير وجهها، ثم علّق:

- إنهما لا شك رجلان لافتان للنظر . . لكنهما خطيران!

تابع جايمس ويزلي الحوار . . ومال إلى الطاولة ليقول:

- أتتكلمون عن الأخوة مارتينز؟

أحست كوانتين بنفاد صبر لتدخله، لكن البوت هز رأسه وأجاب:

- أجل . . لماذا؟

نظر السيد ويزلي حوله بحذر:

- ألم تسمع أنهما على الأرجح وراء السّوار في مونتي رافيردي؟

هز البوت كتفيه:

- أتصدق هذا؟ أيدعيهم السفير يأتون إلى هنا هكذا لو أنه يشك بذلك.

- لا يستطيع إثبات شيء . . ودون برهان، ماذا يستطيع أن يفعل؟ على أي حال كان لوالدهما مركز في السلطة لعدة سنوات، وهما محبوبان جداً في مونتي رافيردي.

تراجع البوت في مقعده وهو يفكر:

- أجل . . لكن . . لا أستطيع أن أصدق أنهما متورطان. أضف إلى ذلك ألم يدخل ريموند السلك الكهنوتي؟!

ضحك السيد ويزلي ساخراً:

ـ سمعت هذا أيضاً! هذه الأيام كل شيء ممكن.. أكبر نذل حي بإمكانه أن يبتسم كالقديس!

تدخل بيل مايكبيس في الحديث وسأل بخفة:

ـ أتقول إن الأخوين مارتينز نذلان جايمس؟

ـ لست أدري!

عبست سوزان في وجه فيلومينا، وسألت:

ـ ماذا قلت لك؟ سياسة، سياسة، سياسة! ألا يحق لي أن أحس بالسأم من هذه الكلمة؟

ابتسمت فيلومينا:

ـ أعتقد أنني الملامة لهذا الحديث.

هزت سوزان رأسها:

ـ أوه.. لا! إنهم لا يحتاجون سوى لعذر.. أي شيء..

كان البوت يقول:

ـ على أي حال.. لقد قام سواريز بنشاطات مشبوهة جداً.. فمن يستطيع القول ان الثورة لن تكون أفضل؟

قطب السيد ويزلي:

ـ أفضل لمن؟ كن حذراً فيما تقول أيها الشاب! أنت تعرف، حولك عيون وآذان!

تراجعت فيلومينا إلى الخلف في مقعدها، عيناها تتجهان دون مقاومة إلى المجموعة الصغيرة، الرجال الثلاثة والفتاة. كان الرجل ينظر إليها، والتقت عيونهما لحظة. ثم أحنى رأسه بأدب وأدار نظره. لكن ليس قبل أن يلاحظ أخوه التحية بينهما.. رأت فيلومينا الأخ يقول شيئاً، فأسرعت تنظر إلى شرابها وبقعتان حمراوان تعلوان خديها. وأحست بابتهاج غريب وارتجفت يدها وهي ترفع الكوب لتشرب منه. من السخف أن تحس هكذا.. مع ذلك فهناك شيء في الرجل كان يثير اضطرابها دون فهم السبب.. لكن، ولذهولها



الكامل، وجدت بعد لحظات الأخوين إلى جانبها، ولفتا اهتمام كل فرد من المجموعة.. وبدا أن الأخ الذي لم تقابله عيّن نفسه الناطق باسمهما.

ـ عذراً سينوريتا.. هل يُسمح لي أن أدعوك إلى الرقص معي؟

ذهلت فيلومينا ونظرت بارتباك إلى السيد ويزلي.. الذي وقف فجأة وقال بلهجة رسمية:

ـ الآنسة ديناري هي معنا سنيور.. ولا أعتقد..

نظرت الرجل إلى ويزلي ساخراً وسأل بلهجة ساخرة:

ـ أليس من المسموح أن تتكلم الآنسة.. ديناري عن نفسها؟

تنفست فيلومينا بحدة.. كانت تحس بالرجل في كل ذرة من كيانها وهو يقف خلف مقعدها بقليل. وتساءلت لماذا يطلب أخوه منها أن ترافصه؟ نظرت إلى وجهي السيدة ويزلي وسوزان المتجهمين، ووقفت..

قال السيد ويزلي بوقار:

ـ سنيور.. الآنسة ديناري هي صديقة لابنتي، وصلت حديثاً إلى البرازيل ولم تعتد على البلد بعد.. أنا واثق أنها ممتنة لدعوتك، فأنت غير معروف بالنسبة لها، ومن الطبيعي أن تكون محرجة.. حقاً سنيور، لا أعتقد أنك تعرفت بزوجتي.

أحنى الرجل رأسه قليلاً باتجاه السيدة ويزلي:

ـ هذا صحيح.. يمكننا التعويض عن هذا فوراً.. اسمحوا لي أن أقدم نفسي سنيور، سنيورا، أنا أندرو مارتينز، في خدمتكم.

هزت السيدة ويزلي رأسها ببرود، ونظرت فيلومينا بارتياب إلى والد سوزان.. ثم قالت:

ـ بالطبع سأرقص معك سنيور مارتينز.

نظرت إلى الآخرين معتذرة: أتسمحون لي؟

لمعت عينا سوزان دهشة لتهور صديقتها، وهز السيد ويزلي

كتفيه بنفاد صبر.. ثم استدارت فيلومينا لتلتقي لأول مرة بنظرة الرجل الآخر.. وفكرت بسرعة.. إذن هذا هو ريموند مارتينز.. الرجل الذي سمعت أنه سيدخل سلك الرهبنة.. وأحست براحتي يديها وقد تبللتا من العرق فجأة. ألهذا يترك شقيقه يدعوها إلى الرقص؟ أخذ السؤال يدور في رأسها بحيث لم تلحظ نظرة الإعجاب التي رمقها بها أندرو وهو يقودها إلى حلبة الرقص.

حين أخذها بين ذراعيه، أمسكها قريباً من جسده العريض بخبرة وتملك. ضغطت فيلومينا يدها على صدره في جهد لتخفيف ضغطه عليها، فابتسم ساخراً:

ـ ما الأمر سنيوريتا؟ نحن نرقص جيداً معاً، أليس كذلك؟ أنت منسجمة جداً مع الموسيقى كما أظن.

نظرت إليه فيلومينا نظرة قاسية:

ـ وهل تمسكون بشريكة الرقص هكذا في مونتي رائيردي سنيور؟ ألا تثق أبداً في فتنتك حتى تضطر إلى منع أي محاولة هرب من الشريكة؟

اتسعت ابتسامته:

ـ إصابة مباشرة، سنيوريتا.. أرى أن معنوياتك قوية وهذا ما يعجبني.

سمح لها بقليل من الحرية وأكمل:

ـ لكن قولي لي لماذا وافقت على الرقص مع أحد أتباع «أوهالتشاو»؟ خاصة وأن السيد ويزلي لم يرغب أن ترقصي معي؟

تفرست فيلومينا به بعجب:

ـ أنا أختار شريك الرقص الذي أريد، سنيور.

ـ أنت امرأة شجاعة سنيوريتا.. فمثل هذه الحرية تثير الإعجاب في المجتمع البرازيلي.

ـ لكنني إنكليزية سنيور.



ـ أجل.. أعرف.. مثل هذا البياض في البشرة نادر في هذه القارة.. أنقيمين مع آل ويزلي.. سي؟

ـ أجل.. أخبرني سنيور، لماذا طلبتني إلى الرقص؟

ضحك أندرو مارتينز:

ـ هذه الصراحة تدهشني.. أليس من المقبول أن أرغب في الرقص مع أنثى جميلة؟

هزت كتفيها.

ـ أنت لا تعرفني سنيور.. وهناك نساء أكثر مني جمالاً هنا الليلة.

ـ أخي، آسيغاس، لفت انتباهي إليك سنيوريتا.

تمتمت بصوت منخفض: أخوك.

ـ أتعرفين أخي سنيوريتا؟

هزت رأسها بسرعة: لا.

نظر إليها متسائلاً:

ـ لكنك قد ترغبين في هذا ربما؟

ـ لا.. ولا تنفوه بملاحظات سخيفة سنيور.

قست نظرة أندرو وقال ببرود:

ـ الملاحظة هي الحياة سنيوريتا.. أخي ليس لك.. إنه.. كيف أقولها.. سولينو، سيريو، جدي كثيراً! إضافة إلى هذا ما حاجتنا لريموند؟ أنا هنا وسحرتني شخصيتك سنيوريتا.

أحست فيلومينا بالسخط لرفعه الكلفة بسهولة بينهما وقالت بحدة:

ـ أنت تفترض الكثير سنيور.. نحن سنرقص رقصة واحدة معاً وهذا كل ما في الأمر.

قال بازدراء:

ـ أتظنين هذا؟ لا أظن.. منذ رأيتك أحسست أن هناك أكثر من

مجرد الرقص بيننا!

أشاحت بوجهها عنه:

ـ أنت رجل نبيل سنيور.. وأنا مندهشة لأسلوبك المبتذل الذي تستخدمه!

ـ مبتذل سنيوريتا؟ ماذا تعني هذه الكلمة؟

ضحكت لطريقة كلامه:

ـ إنها تعني.. حسناً.. تستخدم كصيغة حديث.

ـ آه.. فهمت سنيوريتا.. لكنني لم أكن أستخدم شيئاً للتقرب منك، فأنا جدّي!

تمنت فيلومينا أن تتوقف الفرقة عن العزف لتسمح لها بالهرب.. استقلاليتها كانت تخرج من يدها ولا رغبة لها في بدء جدال مع شخص خطير مثل أندرو مارتينز.

فجأة توقفت الموسيقى وصفق الجميع بأدب وبدأوا بالعودة إلى أماكنهم.. حين حاولت فيلومينا تخليص نفسها من أندرو، أمسك ذراعها وجرّها بلطف إلى حيث أخيه وعمه مع عدة أشخاص آخرين.. واحتجت:

ـ يجب أن تتركني أذهب إلى أصدقائي.

لكنه ابتسم ابتسامة قاسية وقال:

ـ بعد قليل سنيوريتا.. بعد قليل.

تنهدت فيلومينا مستسلمة، تعرف أنها وهي لا تزال في قاعة الرقص لن يمسها سوء.

نظر ريموند مارتينز إلى أخيه وهما يصلان المجموعة، وأحست فيلومينا بعدائيته. في لحظة كان يشبه أندرو، ولا يشبهه. كلاهما طويل، تحيل أسمر البشرة، وهنا ينتهي التشابه.. ورد أندرو نظرة أخيه متحدياً، وقال:

ـ كنت تراقبنا ريموند.. وربما تود أن ترقص مع السنيوريتا



بنفسك؟

ضاقت عينا ريموند من الغضب لكنه قال بصوت هادىء:

ـ سنسوي هذه المسألة فيما بعد أندرو.

تقدم بروسبيرو مارتينز، الرجل الذي قال عنه اليوت إنه عمهما.. كان رجلاً عجوزاً، شاربه ولحيته الطويلان يتخللهما الشعر الرمادي، عيناه كانتا متقدتين حذراً، ولكن نظراته كانت تشع بالرقة واللطف عندما تحول بنظره إلى فيلومينا:

ـ يجب أن تسامحي أندرو.. إنه لا زال صبياً صغيراً في بعض الأمور.. وهو يجد سعادة في.. إزعاج أخيه.. ريموند.. لماذا لا ترافق السنيوريتا إلى أصدقائها؟

أجاب ريموند بأدب: بكل تأكيد.

وأشار إلى فيلومينا كي تسير أمامه.. نظرت إلى أندرو الذي ابتسم ساخراً:

ـ سنلتقي ثانية سنيوريتا، كوني مطمئنة!

منعت فيلومينا نفسها من الرد، ونظرت حولها بقلق تحاول استعادة رباطة جأشها.. أدرك ريموند ترددها فوضع يده على مرفقها ليقودها.. فأحست بشكل مبالغ فيه بهذا التلامس، وهما يتوقفان قليلاً عند جمهرة من الناس التفتت لتنظر إلى وجهه وقطبت.. إنه يحس بها مثلما تحس به.. أصبحا قرب غرفة الاستقبال «والبوفيه» الآن فتوقفت فجأة لتقول:

ـ لماذا لم تطلب مني الرقص سنيور؟

والتقت عيناهما:

ـ أنا لا أرقص سنيوريتا.

ـ لا ترقص أم لا تريد أن ترقص؟

توترت عضلات فكه:

ـ ماذا تريدين أن أقول سنيوريتا؟

هزت رأسها ببطء:

ـ الحقيقة ربما.. لو طلبت منك، فهل تراقصني؟

وهي تنتظر رده تساءلت ما الذي دفعها لتقول هذا.. لكنها كانت فضولية تجاه هذا الرجل أكثر من أي رجل آخر التقته من قبل.. أخذ يتفحص تعابير وجهها، فتحركت بغير ارتياح تحت نظرته.

ـ سنيوريتا.. انضمي إلى أصدقائك.. لا تورطي نفسك في أشياء لا تفهمينها.

ـ أنت لست كأخيك، أليس كذلك سنيور؟

اتسعت فتحتا أنفه قليلاً:

ـ إذا أردت هذا سنيوريتا.

عضت شفتها:

ـ هو على الأقل.. مهذب!

ـ وأنا كذلك مهذب.. سنيوريتا! وإذا كنت قد أبديت عكس هذا، فأنا أعتذر بصدق!

انزعجت فيلومينا:

ـ ربما ما قلته كان خاطئاً سنيور.. أنت مهذب.. بل مهذب جداً!

رفع ريموند كتفيه:

ـ كان لدي انطباع أنك.. سيدة، سنيوريتا.

ـ لكنك أردت الرقص معي، أعرف هذا!

ـ أنت مخطئة.. لكن لو كان هذا يعني الكثير لك..

انزلقت أصابعه إلى معصمها تمسكه بقسوة، ثم استدار ليشق طريقه إلى حلبة الرقص وهو يسحبها خلفه.

حين وصلا لم يترك لها فرصة للاحتجاج، بل شدها بين ذراعيه حتى أنها أحست به بكل ذرة من كيانها.. كانت الموسيقى تنساب



بطيئة وحلبة الرقص مكتظة، ومن غير المحتمل أن يلاحظهما أحد من الجانب الآخر.. مع ذلك أحست بالغضب لجرأته.. تحركا ببطء، ولأنه أطول قامة منها اضطرت لرفع رأسها لتنظر إليه.. وقالت بحدة:

ـ أرجو أن تدرك أنك تهينني!

تراجع عنها قليلاً ونظر إليها:

ـ لماذا؟ هذا ما أردته.. أليس كذلك سنيوريتا؟

ـ أنت لاتُحتَمَل!

ـ لماذا؟ ألأنني قبلت التحدي الذي أعلنته؟ سامحيني فهناك أوقات تفزعني فيها ردات فعلي.

احتارت فيلومينا لما قال، وهزت كتفيها:

ـ أعتقد أنني الملامة أيضاً.. لكنني لا أفهمك.

ـ لا تحاولي فهمي سنيوريتا.. ومن الأفضل أن تنسي ما حصل. أخي كان.. يستغلك! هذا كل شيء.. والآن، أتودين العودة إلى أصدقائك؟

نظرت إليه بصبر نافد.. كان من الصعب جداً اختراق هذه الواجهة القاسية.. ومن المدمر أن تدرك كم ترغب في أن تفعل هذا.. شبابها، جمالها، لا يعنيان شيئاً له.. كل ما نجحت في إثارته فيه شعلة غضب مؤقتة.. بإحساس عجز دفعته عنها، وأعلنت ببرود:

ـ أستطيع أن أجد طريقي!

وبدأت تدفع الناس لتمر وسط القاعة إلى الجانب الآخر. حياها بشعاع حرارة، مع ذلك كانت تحس ببرد رهيب في أعماقها.. ولم يلحق بها.. لم تتوقع منه هذا. وعرفت أن بقية السهرة ستكون نافهة.. لكن كان عليها مواجهة عائلة ويزلي.

كانت المجموعة حيث تركتهم.. وجلست في مقعدها خلسة

متمنية أن لا يلاحظ أحد عودتها وسط الحديث الدائر. لكن كان يجب أن تعرف أنه رجاء خائب.. فالسيدة ويزلي كانت مهتمة جداً.

قالت بلهجة اتهام:

ـ حسناً! بكل تأكيد أخذت الوقت الكافي.. أين كنت.. ليس مع ذلك الرجل!

تنهدت فيلومينا:

ـ أين ظننتِ أن أكون إذن؟

لامست سوزان ذراعها:

ـ ظننا أنك اعتذرت لسبب ما وذهبت إلى غرفة السيدات.. ألم تفعلي؟

ـ بالطبع لا.. في الواقع.. السيد مارتينز.. كان.. مهذباً جداً.

تبادل الزوجان النظرات، وسأل والد سوزان:

ـ حقاً.. قد يثير اهتمامك أن تعرفي أنك نفذت له ما يريد بقبولك.. يا للسماء.. يمكنه الآن العودة وانتقاء سوزان أو زوجتي للرقص معه، فأي عذر سنقدم؟

احمر وجه فيلومينا:

ـ أنا آسفة، لم أفكر بهذا.

ـ أنت لم تفكري.. أنا موافق على هذا.

وأشعل سيكاراً بنفاد صبر.

قال البوت:

ـ أوه.. هيا الآن.. أين الضرر؟ مارتينز ليس متوحشاً.. ولا أقرباءه كذلك.. إذا أرادت فيلومينا أن ترقص معه فماذا يمنع؟ إنه وحش جميل وسيم، ألا توافقون؟

نظرت فيلومينا إلى البوت بامتنان، لكن السيدة ويزلي لم تلن:

ـ فيلومينا هنا كضيفة علينا.. ومن الواجب أن تخضع لرغبات



جايمس.. يا للسماء! كان من الواضح جداً أنه لا يريدها أن تقبل.

عضت فيلومينا شفتها وقالت بارتباك:

ـ أنا آسفة لو أهنتك.. وأعتقد.. أن هنا.. ليس كانكلترا.

تثاءبت سوزان بضجر:

ـ حسناً فلننس الأمر.. هه أمي؟ لقد عادت الآن سالمة، فأين المشكلة؟

قالت السيدة ويزلي ساخرة:

ـ حسن جداً! حسن جداً! لقد قلت كل ما كنت أريد.

قالت سوزان تستدير إلى الملازم الأول ايرفنغ:

ـ تعال لقد وعدتني أن تعلمني البوسانوفا.

بعد ذهابهما، وانجاه اهتمام السيدة ويزلي إلى مكان آخر، استدارت فيلومينا إلى البوت.. وتمتمت بصوت منخفض: شكراً.

ابتسم:

ـ لا تفكري بهذا.

ثم استدار إلى زوجته التي كانت مندمجة في حديث مع زوجة جل.. وقال:

ـ جدياً.. لقد خاطرت مخاطرة جهنمية.. وكما قال جايمس.. فأعضاء أسرة مارتينز مرافقون غير مقبولين لفتاة.. ويقال إنهم متورطون مع الثوار.. هل فهمت؟

ردت بهدوء:

ـ أعتقد هذا.. لكنها كانت مجرد رقصة!

قطب البوت:

ـ أجل.. وأعجب ما الذي جعله يختارك أنت.

ازداد عمق لون فيلومينا وهي تقول: وأنا كذلك.

* * *

## ٢ ـ عملية خطف

كان المطار في «كاليو» مكتظاً بعد الحرارة الشديدة خارج المبنى.. جلست فيلومينا مع سوزان في مقهى المطار، تتناولان المرطبات بانتظار موعد إقلاع الطائرة، مع ندم ضئيل لانتهاء عطلة فيلومينا.. لقد كان الأسبوعان اللذان أمضتهما في الريو مبهجين، وهي آسفة الآن لاضطرارها للسفر.. مع ذلك، كانت تحس بالسرور.. الريو، البرازيل، أميركا الجنوبية، أسماء مترادفة في رأسها مع ذكريات مثيرة للاضطراب.. وهي تتوق لأن تعود إلى أشياء وناس أكثر إلفة.. بالطبع ستسافر أولاً إلى لوس أنجلس لتنضم إلى والدها.. لكن بعد وقت قصير من هذا سيكونان في طريقهما إلى لندن، وإلى المنزل.

كان عدم رضاها عن العطلة وعن نفسها عائد إلى تلك الليلة المليئة بالأحداث في سفارة مونتي راڤيردي. وجدت أنه من الصعب أن تمنع أفكارها من العودة باستمرار إلى الأخوين مارتينز.. وهذا أمر سخيف بالطبع، مع ذلك لم تستطع سوى أن تتساءل ما إذا كان أندرو سيحاول الاتصال بها؟ كان يعرف أنها تقيم مع أسرة ويزلي.. لكن أحداً لم يتصل هاتفياً ولم تستطع تفسير خيبة الأمل التي تسبب بها هذا الأمر.

نظرت سوزان إليها بأسى وقالت:

ـ سأشتاق إليك فيل.. لقد كان هذان الأسبوعان رائعين لي.



ابتسمت فيلومينا وردت بحرارة:

ـ وكانا رائعين لي كذلك يا سوزان. يجب أن تقنعي والديك بالسماح لك أن تأتي إلى انكلترا لزيارتنا.. صحيح أنني لا أستطيع أن أعدك بحياة مثيرة في «فرايروارن» لكن على الأقل يمكننا الذهاب إلى حفلات موسيقية وإلى المسرح. وهناك عدة شبان مناسبين وغير مرتبطين يمكنني تقديمك إليهم.

ضحكت سوزان:

ـ ومتى سيلاحظ أي شاب وجودي وأنت معي؟

قطبت فيلومينا:

ـ لا تكوني سخيفة يا سوزان.. أنا جادة.. أظن بأنك ستكونين مصدر إثارة في بلدتنا الصغيرة بشعرك الأحمر النحاسي وسمرتك الرائعة!

تنهدت سوزان:

ـ سنرى.. وسأحب جداً أن أطالبك بتنفيذ وعدك في وقت ما.. كما أنني أحب أن أرى والدك مجدداً.

رفعت فيلومينا حاجبيها وضحكت:

ـ حقاً؟ بدأت أشك أن والدي هو الذي يثير اهتمامك!

هزت سوزان كتفيها:

ـ حسناً! إنه غير مرتبط، أليس كذلك؟

نظرت فيلومينا إليها غير مصدقة: أنت جادة؟

ابتسمت سوزان:

ـ طبعاً! لا، لا تقلقي، فأنا واثقة أن أباك لا يهتم بي.

ـ وأنا لا أشك في هذا أبداً.

ـ وماذا هناك لتشكي؟ لا تقلقي نفسك، فهو لم يهتم بي أبداً، ولا تجمني يوماً.. كان ينظر إليّ كما ينظر إليك!

وضعت فيلومينا ذقنها على يدها:

ـ شكراً لثقتك بي.. لكن ألا تظنين أن ذلك كان غرام فتاة مدرسة مراهقة؟ على أي حال نحن كلانا في الثانية والعشرين الآن، وأنت لم تشاهديه منذ ثلاث سنوات.

أحنت سوزان رأسها:

ـ أعرف هذا.. وربما أنت محقة.. مع ذلك، وعند استعادة ذكرى تلك الأيام التي أمضيتها في «فراير وارن» تبدو لي وكأنها أسعد أيام حياتي.

ـ لا أصدق هذا.. كان والداك يأخذانك إلى كل مكان خلال عطلتك الصيفية.. أذكر سفرك إلى سويسرا، إيطاليا، والولايات المتحدة.

ـ أجل.. لكن هذا لا يشبه ذاك.. أعني.. أن والداي ما كانا يتحدثان معي كما كان والدك يتحدث معك. لقد سافرنا إلى كل مكان كما قلت، لكن كما في الريو كانا يحضران تلك المناسبات الاجتماعية المستمرة حتى في الخارج.. أينما ذهبا، ليهما أصدقاء، ويقيم ليهما أصدقاؤهما الحفلات.. أتمنى لو أن لي حياة عادية مثلك ومثل والدك.

نظرت فيلومينا إليها بإشفاق:

ـ حسناً جداً.. ما إن أصل إلى الوطن حتى تتدبر أمراً، مع أنني لا أستطيع أن أعدك بصحبة والدي.. فمنذ انضمامه إلى الجامعة وهو مشغول دائماً.

ضغطت سوزان ذراع صديقتها:

ـ أوه.. في أية لحظة الآن سيعلنون عن موعد إقلاع طائرتك.. ألا يمكن أن تتصلي بوالدك وتقولي له إنك ستتأخرين وتبقين معنا ليومين آخرين؟

هزت فيلومينا رأسها بأسى:

ـ لا.. يجب أن أسافر.. لكنني سأكتب لك حال وصولي.



ـ أرجوك أن تفعلي ذلك.

نظرت حولها في المقهى وقالت:

ـ أتساءل ما إذا كان كل هؤلاء الناس ينتظرون طائرتك نفسها؟

نظرت فيلومينا حولها: ربما!

فجأة أحست براحتي يديها تعرقان، وجفت الألوان من حذيها.. كان هناك رجل يقف في الجهة المقابلة لهما وظهره إليهما.. طوله واستقامة كتفيه يشبهان بكل تأكيد وقفة الأخوان مارتينز.. لكنه سرعان ما استدار لتعرف أنه غريب.. ولاحظت سوزان اضطرابها المفاجيء ونظرت حولها بسرعة تسأل بلهفة:

ـ من هو؟ ما الأمر فيلومينا؟

أطلقت فيلومينا نفساً طويلاً غير واعية حتى تلك اللحظة أنها كانت تكتم أنفاسها، وأنكرت باضطراب:

ـ أبداً.. لا شيء.

قطبت سوزان ونظرت حولها مجدداً:

ـ إنه ذلك الرجل.. أليس كذلك؟ ذلك الرجل الأسمر. ظننته أخو مارتينز؟

رفعت فيلومينا كتفيها دليل عدم اكتراث، وعاد اللون إلى خديها.. وقالت:

ـ وماذا لو أنني ظننت هذا؟

ـ كان له بعض التأثير عليك، أليس كذلك؟ ما الذي قاله لك ليسبب لك هذه الحالة من التوتر؟

ـ لا يوجد ما أقوله.

بدت الريبة على سوزان:

ـ لا؟ وتشحبين لمجرد ظنك أنك شاهدته؟ حقاً فيل.. ماذا تخفين؟

أحنت فيلومينا رأسها.. لقد كانت سوزان صريحة معها حول

والدها.. وتستحق صراحة متبادلة.

ـ لم يكن أندرو مارتينز من يهمني.. إنه ريموند.

نظرت إليها بذهول:

ـ ريموند؟ لكنك لا تعرفينه؟

تنهدت فيلومينا:

ـ قليلاً فقط.. ورقصت معه أيضاً.

ـ هكذا إذن! ولهذا تأخرت.. و.. هل كان.. لطيفاً معك؟

كادت فيلومينا تضحك:

ـ أوه.. لا.. أبداً.

قطبت سوزان، وقد زاد الغموض أمامها:

ـ إذن.. بكل بساطة.. أنا لا أفهم.

ـ حسن جداً! ولا أنا أفهم.. في الواقع...

كانت سوزان على وشك قول شيء! لكن علا النداء الإذاعي معلناً عن رحلة فيلومينا.. فأنهت شرابها ونزلت عن الكرسي المرتفع.. وعندماحاولت سوزان أن ترافقها، هزت رأسها:

ـ لا.. أرجوك! لا تأتي معي.. أكره الوداع.. فلنتقل إلى اللقاء هنا.. وسأراك في لندن.. قريباً.

ضمت سوزان شفتيها حزناً:

ـ إذا كانت هذه رغبتك.. إلى أن.. نلتقي في لندن إذن!

ـ هذا صحيح.. إلى اللقاء سوزان.

استدارت لتسير دون وعي بين الطاولات نحو المخرج.

كانت الطائرة نصف ممتلئة حين أقلعت من مطار «غاليو»، وكانت محظوظة لأن مقعدها قرب النافذة.. وهي تنظر إلى امتداد الخط الساحلي، الذي يحيط كالعقد بمدينة ريودوجانيرو المكتظة بالسكان، أحست بوخزة ندم لتركها مثل هذا الجمال.. ثم انحرفت الطائرة إلى الداخل لتمر فوق قمم «السييرا» الوعرة.. وتمكنت



فيلومينا من تمييز السفوح القاحلة المنبسطة تحت أشعة الشمس فوق الخضرة المنتشرة في أسفل الجبال.

غابت الشمس ببهاء متوهج، وأخفت العتمة فخامة الأرض البدائية تحت الطائرة.. ووجهت فيلومينا اهتمامها إلى المجلات التي اشترتها في المطار محاولة الاسترخاء. عبر الممر بين المقاعد، شاهدت الرجل الذي رأته في مقهى المطار. نظر نحوها فالتقت بنظرته، لكنها سرعان ما أشاحت بنظرها عنه، لا ترغب أن تبدو متطفلة، وركزت على ما تقرأه.

بعد ذلك بوقت قصير قدم العشاء، فأكلت القليل ثم ارتشفت قهوتها بمتعة بعد الوجبة.. وكانت على وشك إغماض عينيها علها تحصل على قسط من النوم، لكن أمور عدة حصلت دفعة واحدة، وأصبحت فيما بعد متشابكة في ذهنها المشوش.

تذكر أنها سمعت صرخة من مؤخرة الطائرة.. رجل عجوز حصلت له نوبة قلبية، أو على الأقل هذا ما اعتقده الجميع.. وأسرعت المضيفتان للعناية به.. وكانت فيلومينا، مثل الجميع، تنظر إلى الخلف بفضول حين وقف الرجل الأسمر البشرة ورفيقه ليدخلا مقصورة الطيار.. وعرفت فيلومينا على الفور أن شيئاً ما يحدث.. فالمسافرون لا يدخلون مقصورة الطيار ببساطة.. رفعت نظرها لترى الرجل الجالس إلى جانبها يرفع مسدساً صغيراً خطير المنظر! كتمت صرخة تصاعدت إلى حلقها بينما أخذ الرجل يتكلم، بداية باللغة البورتغالية ثم بالإنكليزية.. مع استدارة الركاب نحوه ليسمعوا، شاهدوا السلاح في يده فتصاعدت منهم صرخات الرعب بين النساء.

انتظر الرجل إلى أن ساد الصمت المتوتر وتابع كلامه:

ـ أرجوكم لا تخافوا.. لا داعي لأن يصاب أحد بأذى.

كتمت فيلومينا خوفها ورفعت نظرها إليه تسأله:

ـ وماذا تنوي أن تفعل؟ هل استوليت على الطائرة؟

نظر الرجل إليها بسرعة:

ـ هذا صحيح سنيوريتا! رفيقي الآن يسيطر عليها.. أنا واثق أن الطيار سيفعل ما يقال له، وإلا استخدم رفيقي سلاحه..

سرت همهمات احتجاج من الركاب، تنحى الرجل الواقف قرب فيلومينا جانباً مع تقدم رجل آخر من مؤخرة الطائرة.. وأصبح واضحاً لها أن الادعاء الزائف بمرض الرجل العجوز كان مجرد حيلة لإشغال المضيفات. وهما الآن جالستان في المقاعد الخلفية عاجزتان كأي واحد من الركاب.

حاولت فيلومينا أن تحافظ على شيء من الهدوء.. فكما قال الرجل لا داعي للذعر.. الرجلان إلى جوارها تكلما معاً، لكن كلامهما كان سريعاً لم تفهم منه شيئاً.. وتصاعدت همهمة الحديث من بقية الركاب.. أحست فيلومينا بالعزلة عنهم ورفضت التفكير بما قد يحدث لهم، ورفعت نظرها إلى الرجل الواقف قربها، وقالت: إلى أين ستأخذنا؟ من حقنا أن نعرف!

نظر إليها الرجل الذي تحدث إلى الركاب بعينين ضيقتين:

ـ أنت كثيرة السؤال سنيوريتا! لست مضطراً لقول شيء لك.

استندت فيلومينا إلى ظهر مقعدها، تنظر إلى خارج الكوة بإحباط. لم يكن هناك ما تستطيع أن تراه في العتمة.. وتساءلت من أين هذين الرجلين. إنهما ليسا برازيليين، أو على الأقل لا يتكلمان كالبرازيليين.. وهما يشبهان الأخوان مارتينز، القادمان من المناطق الوسطى لجنوب أميركا، قرب بوليفيا وباراغواي.. ويمكن أن يكونا من «مونتي رافيردي».

بعد دقائق ظهر الطيار من مقصورته قلقاً ومتجهماً.. وكان يرافقه الرجل الذي دخل قبل قليل.. وقف الطيار عند أول الممر، وتحدث إلى ركابه:



ـ نحن متجهون إلى أحد مهابط الطائرات في مكان ما من هذه «الكورديلراز».. سنحط هناك، لننزل هذين الرجلين، ثم نطير مجدداً إلى لوس أنجلوس.

كانت فيلومينا تعرف أن «الكورديلراز» تعني السلسلة المرتفعة من هذه الجبال، كما يعرف ذلك الكثير من الركاب.. وسأل صوت أميركي:

ـ أليست هذه سفوح «الانديز» يا رجل؟

كلماته سببت التوتر بين بعض الركاب.. فمجرد تخيل هبوط طائرة بهذا الحجم على هذه القمم كان شيئاً مرعباً.

تجهم وجه الطيار وهو يقول: نعم.

كان الطيار برازيلياً، وهو يعرف الموقف أكثر من أيٍّ منهم.. ودون تفكير بدأت فيلومينا تشعر ببوادر الخوف.

وتكلم الأميركي مرة أخرى:

ـ هل تتوقع حقاً أنه بإمكانك الهبوط بطائرة بهذا الحجم بين هذه الجبال؟

تكلم الرجل الواقف قرب الطيار:

ـ ليس هناك أي خطر.. لقد استخدمنا ذلك المنبسط الجبلي من قبل لهبوط الطائرات.

لم تصدقه فيلومينا ولا أي شخص آخر.. لكن ماذا في وسعهم أن يفعلوا؟

فتح الطيار يديه يسأل بعجز:

ـ ماذا تريدونني أن أفعل؟ أرفض وأتركهم يحطمون الطائرة؟

تعالت أصوات كشفت القلق والشك.

بعد أن عرف الجميع ما أرادوا معرفته، عاد الطيار إلى مقصورته يرافقه الرجل.. وأثناء انسحابه قالت إحدى النساء المسنات وهي ترتجف:

ـ ماذا عن الاتصال بالراديو؟ أيمكننا الاتصال بعائلاتنا لنقول إننا بخير؟

هز الطيار رأسه، وقال المسلح:

ـ كل الاتصالات مقطوعة.. ولن يكون هناك أية رسالة.

نظرت فيلومينا إليه بسرعة:

ـ الجميع سيظن أن الطائرة تحطمت.. وأننا لاقينا حتفنا!

رد الرجل بهدوء:

ـ لبضع ساعات فقط، هذا كل شيء!

صاحت المسنة مجدداً:

ـ لكن عائلاتنا ستمرض قلقاً!

ـ يكفي! لن أجيب على أي سؤال آخر!

كان الرجل صارماً، وساد صمت شابه التوتر لحظات. ثم بدأ الركاب يتهامسون، وتمنت فيلومينا أن يكون اضطرابها أقل.. فهي لا تستطيع أن تصدق أن الطائرة ستحط في أي مكان تتجه إليه الآن، ثم يسمح للطيار وطاقمه بالإقلاع مجدداً، مع علم الخاطفين أنهم سيقدمون تقريرهم فوراً.. على أي حال لماذا اختاروا هذه الطريقة للوصول إلى مقصدهم؟ لماذا لم يستخدموا الرحلات العادية إلى مونتي رافيردي؟

فكرت بأبيها المنتظر بشوق في مطار لوس أنجلوس.. وتصورت قلقه المؤلم.. ماذا ستفعل السلطات حين تفقد الاتصال بالطائرة؟

أضيئت لوحة تقول إن على الجميع ربط أحزمتهم.. وبدأت الطائرة تنخفض.. أخذت فيلومينا تعبث باضطراب بحزامها. كانت تحس بالغثيان والدوار، وبدأت ركبتاها تصطكان ببعضهما!

فجأة انتزع الحزام من يدها، ووضع مكانه بيدي رجل.. ورفعت نظرها غير مصدقة إلى وجه بروسبيرو مارتينز وبدأت تقول:



ـ أنت.. أنت كنت الرجل العجوز الذي..

هز رأسه قليلاً وجلس إلى جانبها ليربط حزامه قبل أن يرد:

ـ أنا آسف سنيوريتا!

ابتلعت ريقها بصعوبة، وقالت بصوت منخفض:

ـ أنت.. أنت واحد من.. منهم؟

ـ أجل.. رافاييل، غوميز، والفونسو، هم أصدقائي.

ـ لكن إلى أين ستأخذوننا؟

قطب الرجل المسن:

ـ سنذهب إلى «لانوفا» سنيوريتا، الوادي المرتفع للريو كوميرا.

ـ الوادي المرتفع؟ في مونتي رافيردي، كما أعتقد.

ـ كرهائن سنيوريتا.

أحنت رأسها.. لقد توقعت هذا.. لكن لماذا يقول لها إلى أين هم ذاهبون؟ ألا يمكنها بسهولة أن تفشي مكان وجودهم بعد انتهاء كل هذا؟

اجتاح تفكيرها شك مثير للاضطراب.. بكل تأكيد هؤلاء الرجال أو زعماؤهم يودون أن يبقوهم سجناء.. أيعرف هذا العجوز خطفهم؟

قد يكون بروسبيرو عجوزاً، لكن له وعي وفطنة شاب وهي واثقة من هذا.. كما أنه ليس من النوع الذي يتهور بحديثه.. لكن قبل أن يطيح برأسها المتعب من الشكوك هبطت الطائرة بقوة، وصاحت امرأة بصوت رفيع هستيري:

ـ ستتحطم.. ستتحطم.! كلنا سنموت!

وتحول صوتها إلى نحيب.. فنظرت فيلومينا إلى مرافقها الذي قال:

ـ لا تقلقي يا صغيرتي.. مشيئة الله سترشدنا إلى المكان الذي

نقصده.

شدت فيلومينا بأصابعها ذراعي مقعدها بقوة.. لم تكن مقتنعة أن أي شيء يمكن أن يؤمن لهم سلامة مؤكدة.. حين شاهدت المشاعل النارية مصطفة تحت الطائرة قفز قلبها بشدة إلى حلقها.. وأغمضت عينيها بينما كانت تتحسس العرق البارد يتصبب من جبينها ويبلل راحتي يديها.

ـ تشجعي يا صغيرتي..

لحظة ولامست إطارات الطائرة سطح المدرج القاسي.

كانت الطائرة تجري بسرعة جنونية نحو جدار صخري يبدو كقدر مشؤوم أمامهم.. ونظرت فيلومينا أمامها متخوفة من اللحظة التي سيتصاعد فيها صوت تهشيم المعدن.

لكن صوت التهشم لم يحصل.. صدر صرير حاد عنيف بينما كان جسم الطائرة يحتك بالسطح، وتوقفت الطائرة فجأة.. ساد صمت غريب خلال الهبوط الرهيب..

فك بروسبيرو مارتينز حزام الأمان ووقف.. رأى بعض الركاب يتمددون ويتحركون، فقال أحدهم:

ـ يجب ألاّ يتحرك أحد.. من فضلكم! ابقوا في مقاعدكم.. ستعطى لكم التعليمات فوراً!

تصاعدت عدة صيحات ساخطة.. لكن الركاب أذعنوا أخيراً للأمر الواقع! لقد سمع الجميع وأحسوا بالاحتكاك العنيف لجسم الطائرة، وبدا من المؤكد أن عجلات الهبوط قد تضررت.

انفتح باب مقصورة الطيار وخرج منها مصحوباً بمساعد والملاح، وخلفهم المسلح. بدا التوتر على الطاقم، وأحست فيلومينا بالمحنة التي مروا فيها، فهم المسؤولون عن حياة كل هؤلاء الناس.

قال الرجل المسلح بأدب:



ـ أرجو انتباهكم.. ستبقون حيث أنتم في الوقت الحاضر! يجب أن تناموا هذه الليلة في الطائرة، وهذا لن يكون صعباً عليكم، وفي الغد سيأتي زعيمنا ليتحدث إليكم.

تبادل الركاب الهمسات فيما بينهم.. لكن لم يعلق أحد منهم بكلمة.. وتابع الرجل كلامه:

ـ في الغد سنقرر ماذا سنفعل!

صاحت فيلومينا:

ـ ماذا تعني؟ لقد قلتم إنكم ستتركوننا نذهب!

قطب بروسبيرو محذراً.. فأحنت رأسها غاضبة.. نظر الرجل المسلح إليها لحظة، ثم قال:

ـ لن أحذرك مجدداً سنيوريتا.. ابقي فمك مقفلاً.. مفهوم؟

عضت فيلومينا شفتها كي لا ترد عليه، وبعدها تابع أوامره..

كان في الطائرة زوجان شابان وطفلهما الصغير، وافق الرجل على أن يؤتى بالحليب، وأن تسخنه المضيفات له.. هكذا بقي الجميع في مقاعدهم، وانفتحت أبواب الطائرة.. وترك رجلان للحراسة وسمح للطاقم أن يجلس بين الركاب، بينما غادر الرجال بمن فيهم بروسبيرو الطائرة.

تقدم الطيار ليجلس قرب فيلومينا، حيث كان بروسبيرو جالساً. كان رجلاً قوي البنية، على وجهه تعبير مشدود متجهم، وقال متمتماً:

ـ هذا كثير!

قالت بهدوء:

ـ استرخ.. لا يمكنك أن تفعل شيئاً! لا يمكن لأحد منا أن يفعل شيئاً.

مد الطيار وفتش في جيوبه عن السكائر، قدم لها سيكارة.. مع أنها نادراً ما تدخن إلا أنها قبلتها ممتنة. دخنا السيكارتين بصمت

لفترة ثم قال الطيار:

ـ أتعرفين أين نحن؟

أحنت رأسها:

ـ في الواقع أجل.. أحد.. أحد الرجال.. أخبرني.

نظر إليها الطيار: تابعي!

ـ نحن في مكان يدعى «لانوڤا» الوادي المرتفع في مونتي راڤيردي.

بدا الاضطراب على الطيار، وتمتم بذهول:

ـ لانوڤا؟ سمعت بها سنيوريتا.. لكن مكان وجودها الحقيقي غير معروف.. يقال إنها المقر الرئيسي للصقر «أوهالتشاو» قائد قوات الثوار في مونتي راڤيردي.

قطبت فيلومينا.. أين سمعت باسم «أوهالتشاو» من قبل.. لكن تفكيرها لم يسعفها، وهزت رأسها بصبر نافد:

ـ تبدو قلقاً.. ألا تظن أنهم سيتركوننا وشأننا لنذهب؟

ـ وهل تظنين أنت هذا؟

ارتجفت:

ـ لا أعرف.. ولا أعرف بماذا أفكر.. لماذا جاءوا بنا إلى هنا.. وما هو السبب المحتمل؟

ـ أستطيع التكهن بعدة أسباب.. إما أن يكون هناك أسلحة مخبأة بالطائرة، أو أنهم يحتاجون إلينا كرهائن.. أو ربما يحتاجون إلى الطائرة نفسها.

ـ وليس لدينا اتصال لاسلكي؟

ـ هذا ما أخشاه.

ـ ستظن السلطات أن الطائرة تحطمت.. أليس هناك وسيلة اتصال بها؟

تنهد الطيار:



ـ كيف والسلاح موجه إلينا من كل زاوية.. لا ـ نيوريتا...

ـ دياري.. كم يبلغ عددنا؟

قطب الطيار:

ـ حسناً سنيوريتا دياري.. يجب أن ننتظر لنرى ماذا ينوون أن يفعلوا بسبعة وأربعين منا!

ـ أهذا هو العدد؟ لن يقتلونا جميعاً؟ هل يفعلون؟

هز الطيار رأسه:

ـ لا أظن أن هذا سيخدم مصالحهم لو فعلوا.

ـ لكن أيمكن لهم أن يتركوننا نذهب؟

قطب الطيار مجدداً:

ـ هذا ما يقلقني.. إذا كانوا سيطلقون سراحنا فلماذا أخبروك أين نحن؟ هذا أمر غير عادي.

ـ وهذا ما فكرت به.. هل.. أصيبت العجلات بأضرار كبيرة؟

ـ أي ضرر للإطارات يكون خطيراً.. فهي على أي حال الوسيلة الرئيسية للإقلاع والهبوط.

حاولت تهدئة نفسها وقالت:

ـ أجل.. إذن.. من رأيك أننا سنبقى هنا لبعض الوقت.

رفع كتفيه:

ـ هذا يبدو الاقتراح الأرجح.. يا إلهي.. أنا متعب!

رأته فيلومينا يغمض عينيه.. فحاولت أن تريح نفسها. الأنوار داخل الطائرة كانت قد أخفضت..

بعد حوالي النصف ساعة، والجميع نائم، فتح باب الطائرة ودخل رجل وتحدث إلى أحد الرجلين بصوت منخفض، ثم تقدم إلى حيث تجلس فيلومينا مع الطيار، وفتح الطيار عينيه فجأة، وخشت فيلومينا أنهم جاءوا ليأخذوه. لكن لدهشتها ورعبها، أمسك الرجل ذراعها وشدها لتقف.. وقال بأمرها باختصار:

ـ أحضري معطفك!

تصاعدت بعض الاحتجاجات والرجل يرافقها إلى خارج الطائرة، ووعت أن الطيار صرخ محتجاً أمام الحارس عند خروجها.. ثم أصبحت عند أعلى السلم وصفعها هواء الليل البارد على خديها، فترنحت قليلاً قبل أن يمر مرافقها أمامها ويشير إليها لتلحق به.. فكرت بأن تدفعه بقسوة من الخلف، لكن مثل هذا التصرف ليس فيه أية فائدة، وهناك الكثير من أمثاله.. وقطعا السطح الممهد بالحصى إلى حيث تقف سيارة لاندروفر، ورجل آخر خلف مقودها.

صعدت فيلومينا إلى المقعد الأمامي وانطلقت السيارة، ولم يكن هناك الكثير يمكن أن تراه على ضوء السيارة الأمامية.. مجرد طريق ضيق تحده نباتات برية كثيفة.. كانوا يهبطون نحو وادي، هذا كل ما استطاعت أن تشعر به.. ولم يتكلم أحد من الرجلين.. واعترفت لنفسها أنها خائفة بالتأكيد ولا فكرة لديها لماذا اختيرت لتأتي إلى هنا.

كان من الصعب معرفة حجم الوادي في الظلام.. لكن من خلال الأنوار التي شعت من أسفل الوادي والجبال الشاهقة وكأنها تلامس السماء بدا أنه واد متسع.. ومع امتداد الطريق كانت تسمع أصوات حيوانات.. وأحياناً كانت تشم رائحة الصنوبر.. كانت تحمل معها معطفاً من جلد الغنم، وأحست بالسعادة للدفء الذي بعثه في جسمها. فالريح هنا باردة جداً.. لكن الهواء منعش ونقي..

أطبقت يديها معاً.. كانوا يقتربون من وجهتهم وبدأت ركبتاها تصطكان خوفاً مرة أخرى، ثم تذكرت بروسبيرو مارتينز فتلاشى شيء من رعبها..

استدار اللاند ليقف أمام منزل ضخم، افترضت أنه المنزل



الرئيسي «للهاسندا» أي المزرعة بواجهته المدهونة بالأبيض وقناطره، كان للنوافذ مصاريع خشبية مغلقة، لكن هناك باب من الشريط الشائك مفتوح على مصراعيه يوصل إلى طريق ضيق معبد.

أشار الرجل إلى فيلومينا: تعالي!

نزلت متوترة تلف معطفها حولها.

قطعا الشرفة ودخلا الممر.. كانت الردهة معتمة قليلاً وليست أدفأ من الخارج..

توقف الرجل خارج باب وقرعه ليحصل على إذن بالدخول.. ودفع فيلومينا أمامه إلى غرفة كبيرة، مضاءة بشدة.. إنها غرفة مريحة مفروشة بأثاث يخدم بعض الأهداف الخاصة.. إضافة إلى المصاريع الخشبية المغلقة، كان هناك ستائر سميكة تغطي النوافذ، وطاولة مكتب مكتظة بالأوراق.. قرب أحد أطراف الطاولة كانت هناك خزانة فوقها صينية وعدد من الفناجين والأكواب، أحد الجدران كان مغطى تماماً بالكتب.. إضافة إلى خرائط وأدوات قياس.. أول انطباع لفيلومينا كان الدفء والألفة.. لكن وهي تستوعب ما حولها، وقف رجل عن مقعده أمام النار واستدار لينظر إليها متجهماً.. رجل طويل شديد السمرة، بوجه نحيل، يرتدي بنطلوناً من القماش الأسود الضيق مدسوس تحت حذاء طويل حتى الركبتين، وكنزة سوداء مثنية الياقة.

حدقت فيلومينا به غير مصدقة.. وقالت بضعف:

ـ ريموند! إذن.. إذن.. لا بد أنك..

ـ «أوهالتشاو» سنيوريتا.. والآن ستخبريني بالضبط ما تعنيه هذه الكلمة لك!

* * *

## ٣ ـ ماذا تريد مني؟

خرج المرافق من الغرفة محيياً ريموند بأدب وسمعت فيلومينا صوت إقفال الباب بحذر وتوتر.. أحست بالذهول لحظة شاهدت الرجل الذي استحوذ على إعجابها الشديد وتراجعت أمام إحساس رهيب متوقعة السوء.. كان يقف فوق بساط جلدي أمام الموقد، ينظر إليها بحدة وهي ترتجف توتراً.

سأل بهدوء:

ـ أتعرفين أين أنت سنيوريتا؟

هزت فيلومينا كتفيها بارتباك:

ـ لا شك أنك تعرف أنني أعرف.. أنا.. تحدثت مع عمك في الطائرة.

هز رأسه:

ـ آه.. أجل.. بروسبيرو.. إنه هو من أخبرني بوجودك.. هل أخبرت شقيقي أنك ستغادرين الريو على هذه الطائرة بالذات؟

رفعت حاجبيها معاً تعبس:

ـ بالطبع لا.. فأنا لم أر شقيقك منذ حفل الاستقبال في السفارة.

نظر إليها بارتياب:

ـ أتتوقعين مني أن أصدق هذا سنيوريتا؟

ارتبكت فيلومينا لكنها ردت بسرعة:



ـ لست أهتم بما تصدق.. سنيور!

ابتعد عن المدفأة متقدماً نحوها عن قصد، وقال بخشونة:

ـ ربما يجب أن تهتمي سنيوريتا.. تعالي! اجلسي.. يبدو أنك بردانة.

تحركت فيلومينا بتشنج، فهي لا تريده أن يلمسها، وأحست أنها لو لم تطعه فسيجبرها على إطاعته.. جلست في أحد المقعدين الضخمين.. تقدم ريموند نحو الصينية وأخذ فنجاناً ليصب فيه بعض القهوة من إبريق قرب النار. عاد إليها ليعطيها الفنجان، وكانت على وشك الرفض إلا أنها رأت بأنه من الأفضل لها أن تبقى مذعنة في الوقت الحاضر، فهي لا تزال جاهلة سبب إرساله في طلبها، ولا رغبة لها أن تثير عداءه.. كان صعباً عليها أن تتقبل ما يحدث لها، ومرت لحظات كادت تقتنع خلالها أن هذا مجرد كابوس.

لكن الحطب المشتعل الذي يرسل حرارته إلى ساقيها كان حقيقياً بما يكفي، وكذلك القهوة الساخنة التي احتستها بتوتر.. والرجل الواقف أمامها قرب الموقد، الشديد السمرة، المثير للاضطراب، هو حقيقة قائمة أكثر من أي شيء آخر.

نظر إليها يسألها:

ـ سنيوريتا! ألا زلت خائفة؟

أمسكت الفنجان بين راحتيها:

ـ وهل يجب أن أكون خائفة؟

نظر إلى نهاية سيكاره المشتعل:

ـ أعتقد أن هذا يعتمد على الذي يخيفك.. أنت تعرفين اسم «وهالتشاو».. فهل لي أن أعرف كيف؟

هزت رأسها:

ـ قال لي الطيار إن «لانوفا» هي المقر الرئيسي لحركة الثوار في

موتني رافيردي.. وقال إن الزعيم يدعى «أوهالتشاو».

قطب ريموند بشدة:

ـ هكذا إذن! لكنك لا تعرفين أنني أنا «أوهالتشاو»؟

ـ بالطبع لا!

أخذ نفساً عميقاً من سيكاره:

ـ لا! هذا منطقي.. وأنا أقبله!

أحنت فيلومينا رأسها تنظر إلى القهوة الساخنة في فنجانها.. فجأة تذكرت أين سمعت الاسم.. أندرو مارتينز كان يمازحها حول مراقصتها لأحد أتباع «أوهالتشاو» لكن بالتأكيد لم يعنِ لها هذا الاسم شيئاً في حينه، ولم تفكر به فيما بعد.

رفعت نظرها لتقول بسرعة:

ـ ماذا.. ماذا تنوي أن تفعل بي.. وبنا جميعاً؟

نفث ريموند دخان الهافانا العطر، ورفع حاجبيه:

ـ لم أقرر هذا بعد.. وستركم تتخذون القرار.

سألت:

ـ ولماذا جئت بي إلى هنا؟

ـ هذا قراري أنا.

ورمى نصف السيكار في النار، مكملاً:

ـ لا شك أنك متعبة.. والوقت متأخر جداً.. تجربة الهبوط ليلاً أمر مرهق.. سآمر بتجهيز مقر لك على الفور.

ـ أوه.. أوه.. لا تزعج نفسك.. أنا.. أفضل.. العودة سريعاً إلى الطائرة.

اسودت عيناه العسليتان: لماذا؟

ابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ حسناً! أنا.. أنا.. لا أفهم شيئاً من هذا، ولا أريد أن أفهم. أريد فقط العودة إلى الطائرة، وأن تعاملوني مثل أي شخص آخر..



ـ أؤكد لك أنك ستكونين هنا أكثر ارتياحاً في فراش مناسب أكثر من النوم في طائرة تميل إلى جانبها كما قيل لي.

خفق قلب فيلومينا بسرعة:

ـ وإن يكن هذا...

ـ ما بالك سنيوريتا؟ أتتصورين أنني أنوي إغواءك؟ أتظنين أن هذا سبب استدعائي لك إلى هنا؟

اختنق خداها خجلاً: لا..!

بدا الازدراء على وجهه:

ـ لا؟ وكيف تكونين واثقة؟

حركت فنجان القهوة بين يديها، وتوسلت بإلحاح:

ـ أرجوك دعني أعود إلى الطائرة سنيور!

تغيرت تعابير وجهه:

ـ لقد نسيت المحنة التي مررت بها الليلة.. مع ذلك ستبقين هنا.

صاحت بصوت مرتاع:

ـ لكن لماذا؟

ـ لأنني أمرت بهذا.

تركها وفتح الباب ونادى بصوت آمر: رافاييل!

لحظات، وظهر الرجل الذي رافقها من الطائرة.. وتغيرت أساريره وهو يصغي إلى ما يقوله ريموند له.. ثم أحنى رأسه بأدب وانسحب.

أقفل ريموند الباب وعاد إلى قرب النار، وجلس في المقعد المقابل يحدق مفكراً في ألسنة النار.. كانت فيلومينا قد فتحت أزرار معطفها أمام الدفء الذي ترسله النار في الغرفة، لكن ما إن استدارت عيناه نحوها مرة أخرى، حتى عادت لتشد المعطف حولها وكأنما تحمي نفسها به، ونجحت في بعث البريق الساخر في

عينيه.. وسألها:

ـ ألا زلت تشعرين بالبرد سنيوريتا؟ ألا يعجبك هذا المـ... المتواضع؟

جمعت المتبقي من رباطة جأشها وقالت:

ـ أبعرف.. شقيقك أنني هنا؟

مد ريموند قدميه نحو النار:

ـ يعرف أنك في الطائرة.

استوعبت هذا، وسألت:

ـ هل.. هو هنا في لانوفا؟

رد ببرود:

ـ سي سنيوريتا.. إنه هنا.

تركت تنهيدة صغيرة تفلت منها.. لن يتركاها تذهب مهما حدث للآخرين.. إنها تعرف هويتهما، ولديها دليل لا ريب فيه أن الرئيس سواريز سيدفع الكثير للحصول على هكذا معلومات.. وغمرها إحساس بالعجز زاده تأخر الوقت وقلقها الداخلي.. كانت تتوق للنوم لكنها كانت تخشى مما قد يحصل جرّاء هذا الضعف اللاواعي.

عاد رافاييل وتكلم مع ريموند بسرعة، وهز ريموند رأسه رضيّ.. وقف على قدميه يمد يده ليساعد فيلومينا على النهوض، لكنها تجاهلت يده ووقفت دون مساعدته تترنح تعباً.. فقال بلهجة خشنة:

ـ رافاييل سيرافقك إلى غرفتك، ويتأكد من حصولك على كل حاجياتك، وداعاً للوقت الحاضر! سنيوريتا.

لم تقل فيلومينا شيئاً.. ليس هناك ما يقال.. ثم إنها لا تثق بأن صوتها سيخرج دون ارتجاف.. هكذا لفت معطفها جيداً حولها، وسارت بسرعة عبر الغرفة إلى جانب رافاييل الذي حيا أوهالتشاو،



وخرجا معاً إلى الهواء البارد.

قادها رافاييل حتى آخر الممر، حيث كان هناك سلم ضيق يؤدي صعوداً إلى فسحة تحت افريز القناطر.. كان قد أخذ قنديلاً من تعليقته عند أسفل السلم، وعلى نوره رأت فيلومينا أربعة أبواب تفتح نحو هذه الفسحة.. ودخل رافاييل أحد هذه الأبواب الأربعة إلى غرفة، ورفع القنديل عالياً كي ترى فيلومينا أن الغرفة ذات أثاث متواضع، سرير ضيق، مغسلة قديمة الطراز، ومقعد منخفض عالي الظهر، لا ذراعين له.. والنافذة دون ستائر، والمكان بارد جداً، لا تدفئة فيه.. وجد رافاييل قنديلاً أشعله ثم قال:

ـ هناك ماء للاغتسال في الإبريق.. وإذا كان هناك شيء آخر تحتاجين إليه فقولي لي.

ارتجفت فيلومينا ونظرت حولها:

ـ شكـ.. شكراً لك. لا أريد شيئاً آخر.

انحنى رافاييل بلباقة شديدة، وتركها ثم أغلق الباب وراءه. تقدمت لتتفحص الباب، فوجدته مفتوحاً لكن دون مفتاح من الداخل، فتنهدت.. واضح أنها آمنة هنا، وليس لديها مكان تهرب إليه.

عادت إلى السرير.. لاحظت أن المفارش بيضاء ناصعة.. ورائحة لأن تتسلل بين الأغطية.. لكنها كانت خائفة.. يجب أن تبقى يقظة، وأن تكون مستعدة لأي طارىء..

لامست أصابع نور الصباح عينيها الناعستين بعناد. فجلست فيلومينا مجفلة. إنه الصباح، وكانت نائمة.. نظرت حولها بقلق، لكن الغرفة كانت كما كانت في الليلة السابقة، ما عدا أن وقود القنديل نفد، وانطفأ. كانت لا تزال ترتدي كل ثيابها، مستندة إلى الوسائد عند رأس السرير.. كان الإرهاق قد أخذ منها مأخذه ولم تعد تذكر سوى القليل.. لا بد أنها نامت على الفور لأنها تحس

بالانتعاش.. والشمس الآن مرتفعة في السماء والغرفة أكثر دفئاً.

رمت البساط جانباً ونزلت عن السرير تلبس حذائها، واتجهت إلى النافذة متلهفة لرؤية ما يحيط بها على ضوء النهار. واجهها منظر غير متوقع الجمال أذهل بصرها. «الهاسندا» أو بيت المزرعة، إضافة إلى منازل أخرى تماثله تصميماً، كانت مبنية على أرض واد على مسافة قصيرة من مياه نهر سمعته فيلومينا ليلة الأمس يهدر في جريانه.. طريق ضيق، يمتد عبر القرية، صعوداً إلى الجبال التي ترتفع حولها بين كل جانب من الوادي. كانت المزروعات الخضراء التي تشبه الغابة تمنح المنازل المبنية من الطين الحماية والظل، وعرفت أن هذا الوادي سيبدو من الجو غير مأهول تقريباً.. وبدا المنظر مسالماً حتى لم تكد تصدق أن للرعب الذي مرت به ليلة أمس علاقة بهذا الوادي المعزول.

استدارت عن النافذة، وتقدمت إلى المغسلة لترش وجهها بالماء المثلج، ولتتمتع بإحساس النشاط الذي كان يستولي عليها.. كل شيء كان يبدو أفضل بكثير في ضوء الشمس.. وتاقت لأن تخرج إلى الهواء الطلق، بعيداً عن أية موانع مفروضة عليها.

جففت وجهها ومررت أصابعها عبر شعرها بجهد لترتيبه.. لم يكن معها مشط، ولا أية حاجيات.. ثم تقدمت من الباب تفتحه بهدوء، تنظر إلى الفسحة في أعلى السلم. كل شيء كان هادئاً.. مع أنها كانت تسمع أصواتاً من خارج المبنى.

نزلت السلم بخطوات حذرة؛ ووقفت مترددة عند الممر الذي استخدمته في الليلة السابقة. تعرف أن غرفة ريموند مارتينز هي إلى اليسار، فاستدارت إلى اليمين، مبتعدة عن المدخل المليء بأشعة الشمس.. واجهها بابان.. وبحركة مترددة، مدت يدها تدير أكرة أحدهما.. ومع انفتاح الباب إلى الداخل، ناداها صوت:

- إذن سنيوريتا لقد استيقظت! هل نمت جيداً؟



استدارت فيلومينا بحدة لتواجه امرأة مسنة ترتدي ثياباً سوداء، تكاد تصل إلى كاحليها، فوقها مريلة بيضاء ناصعة.. شعرها الرمادي ممشط إلى الخلف ومعقوص في دائرة.

ابتعدت فيلومينا بصعوبة وتركت مقبض الباب:

- كنت.. أبحث عن أحد.

تقدمت المرأة نحوها: أنت جائعة؟

هزت فيلومينا رأسها:

- ليس.. ليس كثيراً.. هل الوقت متأخر؟ أخشى أن تكون ساعتي قد توقفت..

هزت المرأة كتفيها، وقالت بغير اكتراث:

- الساعة تجاوزت العاشرة. تعالي إلى «الكاسندا» فهناك قهوة على النار.

تنحت فيلومينا جانباً لتدع المرأة تتقدمها إلى المطبخ، وتساءلت بينها وبين نفسها كيف يمكن لها أن تنام دون حراك هذا الوقت الطويل.. ماذا سيفكر الآخرون في الطائرة بغيابها؟

كان المطبخ غرفة كبيرة يحتل معظمها طاولة طويلة.. وكان هناك طباخ ضخم معلق على أحد الجدران يدار بواسطة سخان على الوقود، وخزائن من السندبان علقت فيها مقالي وأوعية طبخ لساعة.. بدت رائحة القهوة لا تقاوم.. أشارت المرأة لفيلومينا أن تجلس، ثم رفعت إبريقاً خزفياً وملأته بالقهوة من الإبريق الذي ما زال فوق النار.. فاحتستها فيلومينا بامتنان تتساءل عن مكان وجود ريموند وشقيقه.

لم تكن المرأة ميالة للثرثرة، وبعد أن تأكدت أن فيلومينا لا تريد أن تأكل شيئاً، اختفت عبر باب خلفي إلى الخارج. رأت فيلومينا حظيرتين مربوطتين إلى وتد، ومن خلفهما أعداد من الدجاج تنبش التراب.. إنه منظر لطيف، لكن فيلومينا أحست شيئاً قشيئاً بالتوتر

يعود إليها كما الليلة السابقة.

جعلها صوت من خلفها تجفل، فاستدارت بسرعة لتجد ريموند يقف بالباب يرقبها.. وتساءلت منذ متى يقف هناك، وأحست بقشعريرة تسري في عروقها.. هذا الصباح كان يرتدي قميصاً حريرياً عاجي اللون، وبنطلون أزرق مدسوس تحت ساقي حذاء مرتفع أسود اللون. كانت الريح قد عبثت بشعره فمرر أصابعه خلاله دونما اكتراث:

ـ بون.. سنيوريتا.. هل نمت جيداً؟

وقفت فيلومينا.. وردت باختصار: بشكل معقول.

هز رأسه:

ـ جيد.. أنا مسرور لسماع هذا.

تقدم إلى الطباخ وصب لنفسه بعض القهوة، ثم قال:

ـ هل تناولت طعام الفطور؟

ـ لم أكن جائعة.

ـ لا؟ الطعام جيد جداً هنا.

ضمت شفتيها:

ـ أنا واثقة من هذا. لكنني لم أكن جائعة.. كم من الوقت تنوي استبقائي هنا؟

نظر إليها نظرة ساخرة، ثم قال بصوت آسف:

ـ هذا ما لا أستطيع قوله. في بلادكم يقال: قدر ما يلزم.. وهذا هو ردي.

ـ قدر ما يلزم ماذا؟

هز كتفيه، وتجاهل سؤالها منهياً قهوته:

ـ قهوة جيدة! أخبريني سنيوريتا هل كل حقائبك في الطائرة.

هزت رأسها: أجل.. لماذا؟

ـ ألديك معدات ركوب؟



ـ لا.. فأنا لا أركب الخيل.

ـ لا تركبين الخيل؟ إذن هذه سعادة مخبأة عنك.. ألديك بعض البنطلونات؟

تنهدت:

ـ عدة بنطلونات.. لماذا؟

ـ لأنني أنوي أن أريك الوادي سنيوريتا، وأفضل طريقة لرؤيته هي على ظهر الخيل.. لقد كنت في المنجم هذا الصباح.

وأشار إلى حذائه الملطخ بالوحل.. فقطبت تسأل:

ـ المنجم؟ أي نوع من المناجم؟

هز رأسه:

ـ كل شيء في وقته المناسب وكما يقال..

نظر إلى الخلف مع دخول المرأة المسنة:

ـ آه.. مانويلا.. هل التقيت بالسنيوريتا ديناري؟

ـ نعم سنيور! السنيوريتا لم تتناول سوى القهوة.

ـ إذن، يجب أن تتأكد من حصولها على الهواء النقي هذا الصباح بحضرها للطعام اللذيذ الذي تحضرينه.. بي سنيور أندرو؟

فتحت مانويلا يديها:

ـ لم أره هذا الصباح، سنيور.. فكرت.. ربما..

قاطع ما كانت ستقوله:

ـ بون مانويلا.. أرسلي رافاييل.

ـ نعم سنيور!

أخرج ريموند سيكاراً وأشعله، ثم قال:

ـ ذهب رافاييل هذا الصباح إلى الطائرة.. الركاب سالمون وبصحة جيدة، وأخذ لهم القهوة والخبز.. لقد أمضوا ليلة مريحة والطبع كانوا متشوقين لمعرفة مصيرهم.. ولسوء الحظ ما قاله لهم لم يلق منهم استحساناً.

ـ وماذا قال لهم؟ أيعرفون أين أنا؟ ولماذا لم تسمح لي بالعودة للبقاء معهم؟

رفع كتفيه ورد دونما اكتراث:

ـ أنا لا أريد أن أعيدك إلى هناك سنيوريتا.. لا تجزعي فأسباب استبقاءك هنا بعيدة جداً عن أية رغبات شخصية.. أنت آمنة جداً معي.

أحنت رأسها:

ـ أنا لا أفهم.. على أي حال، ألن يسمح لي أن أعرف ما يجري؟

أخرج سيكاره من فمه:

ـ طبعاً! الطائرة التي جاءت بكم إلى هنا أصيبت بأضرار كما تعرفين.. والإصلاحات ستأخذ وقتاً.. وإلى أن تصبح الطائرة جاهزة لا وسيلة ممكنة لسفركم.

رفعت نظرها إليه:

ـ هل تقول لي إن الطائرة سَتُصْلَحُ كي نستطيع مغادرة هذا المكان؟

لم يرد عليها فوراً، وتحرك بعض الغضب داخلها وقالت:

ـ لا أصدق أنكم ستسمحون لنا بالمغادرة! أضرار الطائرة حجة مناسبة لإبقائنا هنا.. لكن لماذا؟ لماذا؟ ما فائدتنا لكم؟

ـ لا شيء أبداً.

ـ حسناً إذن؟

تنهد ريموند:

ـ سنيوريتا.. ما هو اسمك، لا أستطيع الاستمرار بمخاطبتك رسمياً.

ـ اسمي فيلومينا.. لكنني أفضل الرسميات.

رفع حاجبيه:



ـ هكذا إذن؟ لديك معنويات عالية فيلومينا.. لكنني سأستخدم اسمك، إنه يعجبني. هل أنت مندهشة لمعرفة شخص بربري مثلي لغة بلادكم بمثل هذه الدقة.

ردت ببرود:

ـ أنت لم تفشل في أن تدهشني سنيور.

أمرها بحزم:

ـ نادني ريموند.. ليلة أمس لم تنادني بالسنيور مارتينز.

ـ ليلة أمس كنت مذعورة، مصدومة! ولا يمكنك المساواة بين ردة فعلي بالأمس ومركزك الآن.

ـ وإن يكن.. سنسمح لبعضنا بدرجة من التقارب، وننطلق من هنا.

إنه بكل تأكيد رجل التناقضات الكثيرة، ولا طريقة أمامها لتعرف أي من شخصياته هي الحقيقية.. من الواضح أنه لديه مركز مرموق جداً بين رجاله، وهم يحترمون قراراته.. لكن تحليل تصرفه نحوها أكثر صعوبة.. لقد بدا مصمماً على أن تنظر إليه بنزاهة وثقة.. وهذا ما يحيرها.. إنها على أي حال تحت رحمته.

قال لها:

ـ تعابير وجهك شفافة جداً فيلومينا.. أنت محتارة مشوشة الفكر.. وهذا طبيعي فأنت لم يمض على وجودك في الوادي ما يكفي لاستيعاب ما يحيط بك.

ـ وهذا واديك؟

ـ نعم فيلومينا.. هذا الوادي لي.. هذه الأرض تملكها عائلتي منذ أجيال.

تقدمت نحو النافذة فوق المغسلة البيضاء، ونظرت إلى الخارج بقلق:

ـ وماذا سيحصل للركاب الآخرين؟ لا يمكنك إبقاؤهم في

الطائرة في هذا الطقس الحار!

أحنى رأسه:

ـ موافق.. أنا لست سادياً فيلومينا.. يجري الآن تحضير أماكن سكن لهم، وسنعتني بهم.

ـ لكنك لن تستطيع العناية بسبعة وخمسين شخصاً إلى وقت غير محدد!

ـ أنا لا أنوي هذا.. خططنا دائماً مكتملة.. إضافة إلى هذا فهناك أكثر بكثير من هذا العدد يعيش في هذا الوادي.

ـ هذا صحيح لكن من يسكن هنا معتاد على المكان.. أما هؤلاء فلديهم عائلات، أقارب، يتلهفون إلى الاطمئنان إلى سلامتهم! ألا يهمك هذا؟

ارتبكَ وجهه:

ـ طبعاً يهمني.. لكننا احتجنا لهذه الطائرة.. ولو كان هناك وسيلة أخرى..

صمت فجأة مع دخول رافاييل الذي نظر إلى فيلومينا نظرة مباشرة، ثم حيا زعيمه كما من قبل:

ـ نعم پاتراو!

تقدم ريموند إليه:

ـ حقائب السنيوريتا في الطائرة.. أريدك أن تحضرها إلى هنا.

ـ نعم پاتراو.

هزت فيلومينا رأسها:

ـ لا.. انتظر! أرجوك، دعني أعود إلى الآخرين.. لا داعي أبداً لمعاملتي بطريقة مختلفة عنهم!

نظر ريموند إليها بصبر نافذ:

ـ الحقائب رافاييل!

فتحت يديها:



ـ لا! لماذا لا تريدني أن أذهب؟ على الأقل دعني أعود لأطمئنهم على سلامتي!

فكر قليلاً، ثم رفع كتفيه:

ـ حسن جداً فيلومينا! إذا كان هذا ما تريدينه.. لا أرى ضرراً في هذا.. لكن عودي مع رافاييل، هل هذا مفهوم؟

ـ أوه.. أجل.. أجل.

نظرت إلى رافاييل:

ـ أيمكن أن نذهب في الحال؟

نظر رافاييل إلى زعيمه طلباً للمشورة وتلقى هزة رأس مؤكدة، ثم أشار إلى فيلومينا أن تتقدمه.. نظرت إلى ريموند لترى ردة فعله.. ولأول مرة رأت شيئاً يتحرك في عينيه.. إشارة غامضة لإحساس بعث الاضطراب إلى قسمات وجهه المبهمة. وخفق قلبها بشكل سخيف.. إنها حمقاء غبية.. وغضبت من نفسها على صمتها.. مع ذلك، هناك شيء مؤثر فعلاً في منظره وهو يقف وحيداً.. وللحظات لم ترغب أن تتركه.

ثم نظرت إلى رافاييل، وعاد المنطق إليها.. إذا كان وحيداً فلأنه يرغب أن يكون وحيداً. ومن الجنون أن تحس بالإشفاق على رجل قطع عن هؤلاء الناس وبكل قسوة كل وسائل الاتصال مع عائلاتهم..

بخطوات ثابتة، مرت برافاييل وسارت بسرعة عبر الممر، نحو الحرية التي وراء الشرفة.

* * *

## ٤ ـ ثورة!

انطلق اللاندروفر عبر القرية، وتمكنت فيلومينا لأول مرة من النظر حولها. البيوت التي بدت مخيفة ليلة أمس، كانت اليوم أكثر أنساً.. كان هناك ورود تنمو على جانبي الطريق تضج ألوانها بالحيوية. خلف البيوت، بساتين من الأشجار تمتد على مدى النظر، بعضها مثقل بالفاكهة الناضجة.. وكان هناك مواشي من كل الأنواع.. وأدركت فيلومينا أن الوادي لا شك لديه اكتفاءه الذاتي، ولا شك أنهم يزرعون الحبوب ويطحنونها كالذرة وغيرها، بطرق بدائية.. إنها في مملكة صغيرة مكتملة بحد ذاتها.

تركا الوادي خلفهما وبدأ يتسلقان الطريق التي تلتوي صعوداً إلى الجبل.. وتعجبت فيلومينا أن يكون هناك في مكان ما من هذه السلسلة الجبلية الشاهقة القمم فسحة تكفي لاستيعاب طائرة..

كانت الطريق تزداد وعورة مما ذكرها بمحنتها في الليلة السابقة وهي تنزل هذا الطريق ممتلئة النفس بالرهبة مترقبة السوء.. مالت في مقعدها إلى الأمام محاولة رؤية ما يوجد وراء الأشجار الكثيفة، وكانت المفاجأة.. فبين الأشجار، وعلى مسافة فوقهما، لمحت جسم الطائرة الرمادي الباهت وتمسكت بمقعدها وشدت عليه بيديها.

نظر رافاييل إليها:

ـ لا تخافي.. العربة أكثر من كفؤة للمهمة.



استرخت فيلومينا قليلاً واغتنمت الفرصة لتكلمه:

ـ أتبعد الطائرة كثيراً؟

ـ لا.. ليس كثيراً.. هذه أسوأ مرحلة من مراحل التسلق، لكننا نقترب من الفسحة.

أصبحت الشمس شديدة الحرارة الآن.. وأخذت فيلومينا التي تركت معطفها في الهاسيندا تفرك ذراعيها العاري وهي تفكر، ثم قالت:

ـ هل سمح للركاب الآخرين بالوصول إلى حقائبهم؟

ـ ليس بعد سنيوريتا.. حين ينتقلون إلى مقرهم الجديد سترافقهم أمتعتهم.. لماذا؟

ـ الحر شديد! وظننت أنكم سمحتم لهم بتغيير ملابسهم.

قست تعابير وجهه:

ـ هذه ليست عطلة، سنيوريتا.. ومن سوء الحظ أن يكون هؤلاء الناس.. هم..

تحدته:

ـ لماذا لا تقولها؟ نحن سجناء عندكم، ألسنا هكذا؟

رد بسرعة:

ـ السجناء عادة يعاملون بقسوة أكثر.. صدقيني سنيوريتا أنتم محظوظون لكونهم هنا.. هناك قوات ثورية أخرى في المنطقة أكثر تشدداً!

تنهدت فيلومينا:

ـ وإن يكن.. ليس من حقكم أن تستبقونا هنا، وتدمروا كل وسيلة اتصال بيننا وبين عائلاتنا!

التصقت أصابع رافاييل بالمقود.. وقال بتساهل:

ـ لقد جيء بكم إلى هنا بناء على أوامر «أوهالتشاو»..

أدار اللاندروفر من فوق مرتفع، ورأت فيلومينا أمامها فسحة

الهبوط كما هي لأول مرة.. وأكمل:

- أكرر لك.. كوني حذرة، لصبر «أوهالتشاو» جدود، في الوقت الحاضر يبدو وضعكم آمناً، لكنه قد ينقلب إلى العكس!

- ماذا تعني؟

أوقف اللاندورفر:

- في وقت آخر سنيوريتا.. تعالي الآن، لقد وصلنا.

كانت السيارة قد وقفت عند مجموعة من الأكواخ على مسافة من جسم الطائرة المائل. وكان معدنها الخارجي الفولاذي الرمادي يلمع تحت أشعة الشمس الحادة، ورأت فيلومينا الوجوه الفضولية المتلهفة عند النوافذ. أرادت أن تلوح لهم لكنها قررت أنه من الأفضل الانتظار قبل الاندفاع وراء تهورها.

رافقها رافاييل عبر الأكواخ، وهما يتقدمان، انفتح باب وخرج رجل.. في البداية ارتعدت فيلومينا وتراجعت إلى الوراء. لكنها عندما رأت الرجل شعرت بالارتياح الواضح. إنه بروسبيرو مارتينز.. أعطى اهتمامه إلى ما كان يقوله رافاييل، ومع انتهاء رافاييل من الكلام نظر إلى فيلومينا.

- حسناً سنيوريتا! تبدين بصحة جيدة هذا الصباح.. هل التقيت «أوهالتشاو»؟

هزت رأسها بشيء من التوتر: أجل.. طبعاً.

- وهل دهشت؟

- وهل شككت بالعكس؟

هز بروسبيرو كتفيه:

- ظننا ربما.. لكن لا بأس! تعالي.. قال لي رافاييل إنك هنا لأخذ حقائبك.

- أود أن أتكلم مع الركاب لو سمحت، لأطمئنهم أنني لا زلت حية.



قلّب بروسبيرو شفتيه:

- أتظنين أن هذا أمر صائب؟

- ماذا تعني؟

- حسناً! ليلة أمس بعد أخذك من الطائرة قيل لي ان هناك بعض تمتمات الاحتجاج.

- ولمَ لا؟ لقد روعت!

- لا «كارا» أنت لم تفهمي.. لقد قيل إنك قد لا تكونين بريئة كما أردت أن يصدقوا!

اتسعت عينا فيلومينا رعباً:

- لكن.. لكن من اقترح شيئاً كهذا؟

حرك بروسبيرو رأسه من جانب إلى آخر، يهز كتفيه:

- من يدري!

ردت ساخطة:

- أنت تعلم.. إنه شخص من هنا، أليس كذلك؟ أحد هؤلاء الرجال! من.. من تكلم مع الركاب ليلة أمس بعد رحيلي؟

هز بروسبيرو كتفيه مرة أخرى بطريقة زادت من سخط فيلومينا.. فتابعت:

- حسن جداً، على أي حال سأقابلهم وأتحدث إليهم.. وسأجعلهم يعرفون أنهم مخطئون!

فتح بروسبيرو يديه:

- وكيف ستفعلين هذا يا عزيزتي؟ أنت هنا حرة لم يمسك أذى، وأمضيت الليل في «هاسيندا» «أوهالتشاو»! فماذا سيفهم زملاؤك من هذا؟

قطبت فيلومينا:

- لكنك تعرف أنني خطفت! أخذت ضد إرادتي! أجبرت أن آتي في الهاسندا.

ـ وأنه لم يصبك أذى، ولم يُغوك أحد؟ حتى ولم يمسسك أحد حتى بإصبعه؟ سنيورينا.. إنه دفاع ضعيف جداً!

شدت فيلومينا قبضتيها بصبر نافذ ونظرت حولها بعجز. كانت الشمس تنصب على رأسها ولم يعد يعني لها شيئاً في هذه اللحظة روعة الجمال المحيط بهما.. إنها واقعة في الأسر.. والأسوأ من ذلك، لقد حاولوا وضعها في موقف صعب مع هؤلاء الذين يمثلون صلتها الوحيدة بالعالم، فهم قد أصبحوا لا يثقون بها. لكن لماذا؟ لماذا؟

استدارت إلى بروسبيرو، تصبح وكأنها تتوسل بيأس:

ـ ماذا تريدون مني؟ لماذا تفعلون هذا بي؟

أشعل بروسبيرو سيكاراً ثم ربت على كتفها.. فانتزعت كتفها من تحت يده، وعضت على شفتيها مخفية ارتعاشتهما. لكنه لم يتأثر بانفعالاتها وقال:

ـ سنيورينا.. توقفي عن محاولة مقاومتنا! نحن لسنا أعداءك! بالعكس نحن لا ننوي بكم ضرراً.

ونظر إلى عينيها متنهداً وهو يلمح نظرة الشك فيهما:

ـ حاولي أن تفهمي موقفنا.. هه؟ أنتم.. كيف أقولها.. موضع ثقة مع أوهالتشاو..

قاطعته:

ـ لماذا تصر على تسميته بهذا الاسم السخيف.. اسمه ريموند!

هز رأسه وقال بهدوء:

ـ سنيورينا.. إنه ابن أخي الراحل.. لكنه لا يزال «أوهالتشاو» ومن الأفضل أن تتذكري هذا! وكما كنت أقول.. لقد تم التواصل بينكما.. لذلك ليس من الملائم أن تتابعي ثقتك بهؤلاء الرهائن.

ـ ألا يمكنك أن تتصور أنني قد أشكل تهديداً لخططكم؟

رفع حاجبيه الكثيفين وقال ببطء:



ـ لا.. فأنت لوحدك لن تستطيعي شيئاً.. هناك الكثيرون منا.. ولا واحد منكم قد يكون لديه فرصة.. نحن مسلحون على أي حال.. وأنتم غير مسلحين.. لكن يبقى هناك مسألة المعلومات، وما قد يستفاد منها.. هل تفهمين هذا؟

أشاحت عنه صارخة:

ـ أنا.. أنا.. كلكم لا تطاقون! ظننت.. ظننت أنك مختلف عنهم!

ـ لماذا؟ لقد عوملت جيداً.. أليس كذلك؟

ردت بمرارة:

ـ أوه.. بلى.. جيد جداً.

هز كتفيه:

ـ أين مشكلتك إذن؟

تنهدت:

ـ يبدو أنك لا تفهم موقفي.. أنا لست واحدة منكم! أنا لم أكن يوماً عضواً في.. قواتكم! ولن أكون أبداً!

ـ أبداً زمن طويل.. سنيورينا..

نظر إلى رافاييل مفكراً ثم كلمه بلغتهم.. فهز رافاييل كتفيه عن اكتراث، وأطرق بروسبيرو.. ثم استدار إلى فيلومينا وقال:

ـ تعالي.. إذا أردت دخول الطائرة.. لن نمنعك.

لو فشلت الآن في التحدث إلى زملائها فلن تتمكن بعد هذا من تغيير موقفها.. وبتصميم استدارت إليه:

ـ حسناً جداً.. شكراً لك!

رفع بروسبيرو حاجبيه وأشار لها بأن تتقدمه.. وما إن وصلا إلى المدخل حتى انفتح الباب الثقيل.. ودفع بروسبيرو السلم إلى مكانه وسبقته فيلومينا بالصعود.. لو كان الركاب عدائيين.. فهل سيشكل من التحمل؟

عتمة الداخل جعلتها لا ترى.. لكن مع جلاء العتمة تمكنت من النظر حولها.. كانت العيون التي استدارت نحوها باردة، وغاص قلبها. تحدث بروسبيرو إلى المضيفتين في مؤخرة الطائرة، وطلب من إحداهما أن تفتح حجرة الحقائب التي في الأسفل، وتجد حقائب السنيوريتا دياري.. لكن هذا الطلب كان كافياً لإثارة الارتياب، وتمنت فيلومينا بيأس لو أنه انتظر إلى أن تكلمهم قبل أن يطلب شيئاً.. نظرت إليه بغضب، لكنه نظر إليها ببراءة وتملكها الإحباط.. كان هناك رجل داخل الطائرة يحرس الركاب، فأشار له بروسبيرو أن يبتعد جانباً لتتكلم فيلومينا معهم.. سادت لحظات صمت رهيبة.. وأدركت أن عليها قول شيء:

ـ أنتم.. على الأرجح تتساءلون لماذا.. لماذا اختطفت ليلة أمس.. وتتساءلون ما إذا كنت أعرف هؤلاء الرجال.. أنا لا أعرفهم.. على الأقل لا أعرفهم أكثر مما يعرفهم أي منكم.

وقف الطيار على قدميه وقال بصوت بارد مرير:

ـ لكن ما قيل لنا مختلف آنسة دياري.

نظرت فيلومينا متألمة إلى بروسبيرو، لكنه كان ينظر باكتئاب إلى حذائه.. ثم قالت:

ـ لا أعرف ما قيل لكم.. أو لماذا كذبوا عليكم.. لكنني أطلب منكم أن تصدقونني في أنني لست متورطة!

هز الطيار كتفيه:

ـ كل ما أعرفه أنك كنت دقيقة في معرفة مكان وجودنا، وقبل أن يعرف أي منا ما يجري.

ـ لكنني قلت لك.. أحد الرجال..

والتفتت إلى بروسبيرو:

ـ.. هذا الرجل قال لي.

فتح بروسبيرو يديه:



ـ أنا؟ ولماذا أقول لك شيئاً سرياً كهذا؟

شهقت وقد نفد صبرها، واستدارت إلى الركاب:

ـ يجب أن تصدقوني.. لسبب ما يستغلونني.. لكنني لست متورطة!

قالت امرأة:

ـ إذن قولي لنا لماذا اختاروك.. ألأجل جمالك؟ ذكاءك؟ أم معرفة خاصة تملكينها؟

هزت رأسها:

ـ لا أعرف السبب.

رد الطيار بارتياب:

ـ أتقولين لنا إنك لم تلتقي بهؤلاء الرجال قبل هذه الرحلة؟

احمر وجه فيلومينا وهوت كتفاها:

ـ أجل.. التقيت بهم.. لكن في حفل للسفارة.. فهل يجيب هذا على تساؤلك؟

سرى حديث هامس وانحنى الطيار ليسمع ما يقوله أحد الركاب بقربه.. فاستدارت فيلومينا عاجزة إلى بروسبيرو، وقالت بمرارة:

ـ بإمكانك مساعدتي! لماذا تعذبني هكذا؟

هز بروسبيرو كتفيه.

ـ ماذا تريدينني أن أقول سنيوريتا؟

ـ قل لهم إنني بريئة وإن لا دور لي في كل هذا.

قطب بروسبيرو:

ـ أهذا ما تريدينه؟

ـ أجل.

ـ حسن جداً!

تقدم إلى الأمام يرفع يديه، وهو يقول:

ـ ما تقوله السنيوريتا هو الحقيقة.. فهي لم تكن تعرف إلى أين

نحن متجهون.. أنا قلت لها.. وهي بريئة كما تقول.

نظرت إليه فيلومينا بذهول، ثم استدارت لتواجه جداراً قاتماً من العداء.. وتغيرت تعابير وجهها، وصاحت:

- ما الأمر؟ بالتأكيد أصبحت بريئة الآن!

قلّب الطيار شفتيه، ورد عليها بازدراء:

- لا شك أنك تمزحين! لقد وقف هذا الرجل مع زملائه ليلة أمس وأخبرنا عن دورك في كل هذا.. فكيف نصدق كلمة مما قاله هذا الرجل؟

وضعت فيلومينا يدها على عنقها، ثم استدارت تحدق إلى بروسبيرو.. وصاحت:

- هل هذا صحيح؟ هل فعلت هذا؟

رد ساخراً:

- ما الفائدة سنيورينا؟ مهما قلت لهم لن يصدقوك.. ولن يصدقوني!

تجمعت الدموع في عينيها، وتحركت بسرعة وتهور.. وأحست بخدر في أصابعها بعد أن صفعت يدها الخد الملتحي.. تحرك الرجل الذي إلى جانبه بسرعة ليرد الصفعة لفيلومينا، وعلى أثر صفعته ترنحت وكادت تهوي إلى الخلف.

دفع بروسبيرو الرجل إلى الخلف بشراسة:

- امبسيل! ابديوتا!

ترنحت فيلومينا دون توازن وقد فقدت قواها. ونظرت إلى الركاب الذين كانوا يراقبون ما يحصل بعيون فضولية.. وقالت متوسلة:

- لو كنت واحدة منهم.. فلماذا الرغبة في الإعلان عن هذا الواقع؟

ضاقت عينا الطيار، وبثبات مفاجيء تقدم إلى الأمام وقال



للآخرين:

- ربما كنا متسرعين بحكمنا.

أمسك بذراعها: هل أنت بخير؟

ارتجفت فيلومينا: أنا.. أظن هذا!

هز رأسه، وقال ببطء:

- يجب أن نعطيك حق البراءة لعدم وجود سوى الشك ضدك. وآسف لقسوتنا.

ابتسمت ابتسامة خفيفة:

- لا بأس عليكم.. لم يكن هناك وسيلة أفتعكم بها..

تقدم بروسبيرو بعينين واسعتين، نافد الصبر بسبب فشل خطته وقال:

- تعالي سنيورينا.. نحن نضيع الوقت.. المضيفة وجدت حقائبك، و«أوهالنشاو» ينتظرك!

أجفلت فيلومينا.. إنها واثقة بأنه تعمد ذكر اسم ريموند.. تهي حتى هذه اللحظة كانت قد نجحت في إقناع نفسها أن هذه المعركة تخوضها ضد بروسبيرو، لكنها تعرف الآن أنها ليست هكذا.. وارتعشت لتفكيرها بغضب ريموند حين يعرف ما حصل..

تولى الطيار المبادرة.. ودفع فيلومينا إلى خلفه.

- لا سنيور.. سنيورينا ديناري ستبقى هنا.

وقف بروسبيرو مسمراً في مكانه وقد اكتسب وجهه تعبيراً غاضباً.. وقال:

- هيا الآن سنيور، لا تجعلني أفقد أعصابي. إنها لا تستأهل هذا.. صدقني.. أنا أعرف. ماذا ستستفيدون من بقائها هنا؟ إنها امرأة لا يمكنها الإنكار أنها تعرفنا قبل وقت طويل من صعودها إلى الطائرة.

أمسكت فيلومينا ذراع الطيار بشدة:

ـ أرجوك.. لا تصدقه.. التقيت بهم في حفل للسفارة.. وهذا كل شيء!

نظر الطيار إلى وجهها المذعور بإشفاق، ثم بدا أنه توصل إلى قرار.. وقال:

ـ ستبقى السنيوريتا دينياري هنا.

هز بروسبيرو كتفيه:

ـ هناك وسائل تجعلك تغير رأيك سنيور.. أنا واثق أنك بطل في أعماقك.. لكن ماذا عن بقية الناس؟ هل هم مستعدون للمخاطرة من أجل امرأة لا زالوا يشكون بها؟

بدا الارتياع على وجه بعض الركاب، لكن الطيار لم يخف:

ـ لا أصدق أنك ستجرؤ على قتل أحد منا دون إذن من زعيمك!

ـ وكيف تعرف أنني لا أملك الإذن؟

شد الطيار على قبضتيه:

ـ إذن هيا.. استخدم سلاحك.. نحن لسنا خائفون.

ضمّ بروسبيرو شفتيه بشدة ونظر بغضب إلى مرافقه.. فانكمش الرجل تحت نظرته، وأدركت فيلومينا أنه استطاع أكثر من أي شخص آخر المساهمة في فشل بروسبيرو.. ثم استدار وخرج من الطائرة، فانهارت ساقا فيلومينا وهبطت إلى الأرض.

على الفور قفز الطيار إلى الأمام.. وقبل أن يدرك الحارس ما ينوي، انتزع البندقية من يده، ودفع فوهتها إلى صدر الرجل، وصاح بحدة:

ـ تحرك.. الآن!

واضح أن الحارس أخذ بغتة، ولمعت عيناه بشراسة، لكن لا شيء أمامه ليفعله. تقدم إلى الأمام، وبقي الطيار يلازمه إلى أن وصلا باب الطيارة، وقال له: أخرج!

ودفعه فوقع بقوة فوق الحصى المفروش على المدرج.. وسمع



صراخه بينما الطيار يقفل الباب بشدة ويعيد الأقفال إلى أماكنها، وانفجر الكلام باهتياج.. لأول مرة منذ اختطاف الطائرة، تمكن الجميع من الكلام بحرية.

مرت ساعة على هذا ولم يحدث شيء.

بعد محنتهم وجد الركاب أشياء كثيرة يتحدثون عنها، لكن كان هناك نوع من الإحباط لم يستطع أحد إنكاره. قد يبدو أنهم في الوقت الحاضر يسيطرون على الوضع.. لكن هذا من الممكن أن لا يستمر طويلاً. فالطائرة، دون التعليمات، هي حطام مشلول. حتى لو لم تكن هكذا فالمدرج ضيق جداً، ويحتاج إلى خبير لمساعدتهم على الإقلاع. ولا طعام لديهم، وبالكاد بعض الماء.. صمودهم في هذا الحصار يمكن أن يستمر فقط طالما الطفلة ساكتة لا تشعر بالجوع.. فهي لم تتناول الحليب سوى مرة في الصباح، وسرعان ما استطابه.

بعد فترة بدأ الركاب في الخلاف فيما بينهم، بالنسبة إلى صواب تصرفات الطيار المتهورة، وكان هناك كلام عن إمكانية انتقام، وعرفت فيلومينا أن هذه غلطتها.. لكن كل ما استطاعت أن تفكر به هو مواجهتها المحتمة مع أوهالنشاو.

قال الطيار:

ـ لقد قالوا قبل الآن إنهم سيأخذوننا من هنا إلى مكان آمن.. لكن ما الحقيقة في هذا الكلام.. من المحتمل أن أكون قد حققت ما كانوا يريدونه أساساً.. تدميرنا جميعاً!

تمتمت فيلومينا ريقها بصعوبة: كيف؟

ـ هناك طريقتان! إما إحراق الطائرة أو تركنا نموت جوعاً.

ـ لا أصدق أنهم يقصدون قتلنا!

ـ لماذا؟ وما الذي يجعلك واثقة هكذا؟ ما حدث هذا الصباح لا شك أنه أثبت لهم كم أنهم عاجزون عن الاعتماد علينا كرهائن. سبعة

وأربعون شخصاً عدد كبير تصعب السيطرة عليه.

تنهدت فيلومينا:

- لن يقتلوننا في الطائرة، فهم يحتاجون إليها!

- حقاً؟ وهل يحتاجون إلى الطيار أيضاً؟

هزت كتفيها:

- لست أدري!

- يجب أن ننتظر لنرى.. عاجلاً أم آجلاً سيتصلون بنا.

لكن فترة الصباح انقضت، وحلت الظهيرة المحرقة. وأصبح المكان كالفرن.. وأذاب الحر ثقتهم بأنفسهم.

فكرت فيلومينا بأبيها وأقارب كل هؤلاء الناس الذين ينتظرون دونما جدوى في لوس أنجلوس، وصول الطائرة. فكرت بالمسؤولين وهم يحاولون بذعر الاتصال.. وبطائرات التفتيش التي سترسل لتبحث عنهم.. لكن ما أصعب أن يجدهم أحد بين هذه الجبال، حيث الوادي يلي الآخر وحيث تمتد كل سلسلة موازية للأخرى.. إضافة إلى هذا أنهم حتى ولو حدد مكانهم.. ماذا يمكن للواحد أن يفعل لإنقاذهم؟

غرقت الطفلة في نوم متقطع في وقت مبكر من بعد الظهر وقد أرهقها البكاء، وتقدم والدها ليكلم فيلومينا والطيار، كان رجلاً في حوالي الخامسة والعشرين، شاب مثلهف خوفاً على زوجته وطفلته..

قال بلكنة أميركية:

- أرجوك.. كم باستطاعتنا أن نصمد؟ ابنتي لا يمكن أن تعيش طويلاً في هذا الحر دون ماء أو حليب.. عمرها فقط ثلاثة أشهر! يجب القيام بعمل ما قبل أن نستيقظ مرة أخرى.. إنه اعتصام لا طائل من ورائه.. أنت تعرف أننا لن نستطيع الإقلاع ولا يمكن البقاء في الطائرة إلى أجل غير مسمى دون طعام وماء.



نظرت فيلومينا إليه بإشفاق:

- هذه غلطتي! أنا من أوقعكم في هذه الورطة. ويجب علي أن أخرجكم منها!

قطب الأميركي الشاب:

- إلى أي مدى تعرفين أوهالتشاو جيداً؟

برقت عيناها:

- ماذا تحاول أن تقول؟

هز الأميركي رأسه، وتمتم:

- أوه.. لا شيء! الأمر فقط.. حسناً! أعتقد أنني أحس بإحباط كبير.. كيف يمكنك المساعدة؟

فكرت فيلومينا قليلاً:

- أعتقد أنه بإمكاني الخروج والاستسلام.. ربما لو حصلوا علي سيتركونكم تذهبون جميعاً إلى المقر الذي يحضرونه لكم.

ضرب الطيار كفاً بكف، وصاح بغضب:

- يا لهذه الورطة! لدينا بندقية بالطبع.

سأل صوت من الخلف:

- وكم رصاصة؟

نظرت فيلومينا إلى الخلف لترى أن المضيفتان تقدمتا إلى الأمام.. وقال الأميركي:

- أترون! الأمر ميؤوس منه!

تنهدت فيلومينا ووقفت، حاول الطيار منعها فقالت:

- هذا لن يفيد.. يجب أن أخرج أنا!

نظرت عبر الكوة نحو الأكواخ، ثم تراجعت مرتعدة:

- انظروا! قوات إضافية!

تجهم الجميع إلى جانب واحد من الطائرة، ينظرون إلى الخارج بارتباك.. كان هناك سيارتا لاندروفر تتقدمان فوق المدرج

نحو الطائرة.. إحداهما مكشوفة، فيها نصف دزينة من الرجال، كل منهم يضع يدقية على ركبتيه.

على الفور انفجر الذعر في الطائرة.. وأخذت النسوة يصرخن بشكل جنوني، بينما حاول رجالهن تهدئتهن دون نجاح..

صاحت إحدى النسوة بغضب: هذه غلطتك!

وهز الكثير رؤوسهم توافقاً معها.

دون كلمة استدارت فيلومينا وسارت بضع خطوات باتجاه المخرج وهي تتعثر، وسرعان ما وجدت الطيار إلى جانبها.. صاح بها وقد نفد صبره:

ـ لا تذهبي هكذا.. هؤلاء الناس صدمهم الذعر.. فلا تدعيهم يؤثرون عليك..

ـ لا فائدة! ألا ترى هذا؟ يجب أن أذهب.. يجب أن أحاول منع هذا مهما حصل!

نظر الطيار إليها عاجزاً:

ـ ولو قتلت؟ ماذا سيثبت هذا؟

ـ ولماذا يقتلونني؟

فتح الباب فجأة تحت ضغطها على مصراعيه فجلست على حافة الباب، واستدارت تخفض نفسها ببطء، بحيث لم يعد تحتها سوى بضع أقدام حتى الأرض.

مع ذلك فقدت توازنها وخدشت ساقيها فوق الأرض المرصوفة.

وقفت.. في الوقت الذي توقف اللاند الأول قرب ذيل الطائرة، ونزل منه رجلان.. رفت فيلومينا بعينيها أمام نور الشمس المبهر، غير قادرة في البداية أن تتعرف على وجهيهما.. ثم خفق قلبها بجنون وهي تتعرف إلى «أوهالتشاو».

تقدم ريموند منها، وجهه متجهم غضباً وازدراء.. وأمسك



بمعصمها بقبضة فولاذية.. وأخذ ينظر إلى المكان الذي ضربها عليه نابعه في وجهها.. وإلى لطخات الغبار حيث مسحت دموعها... وهو يتنفس بسرعة ونبضه السريع يدفع بالدم إلى وجهه..

تمتم بصوت منخفض:

ـ إذن سنيوريتا.. أنت مستعدة الآن لتكوني عاقلة.. أليس كذلك؟

قاومت لتحرر نفسها، وهي تحس بعيون كل من في الطائرة شاخصة إليها.. وصاحت:

ـ أجل.. أجل.. فقط دع هؤلاء الناس وشأنهم.. وافعل ما شئت بي!

تفرس في وجهها مجدداً، ثم دفعها نحو رافاييل:

ـ ضعها في السيارة.. وابق معها.

ـ نعم باترون!

تقدم ريموند من باب الطائرة، وحاولت فيلومينا التأخر إلى الخلف متمنية أن تسمع ماذا سيقول، لكن رافاييل أجبرها على التحرك معه.. في اللاندروفر رأت أن السلم قد أزيح إلى الباب على يد بعض رجال ريموند الذي صعد مع حراسه ودخلها. نظرت إلى رافاييل لكنه أشاح بوجهه عنها، واضح أنه لا يريد التكلم معها.

ساد صمت مطبق على المكان.. ولم تصدر أية طلقات نارية.. أخيراً ظهر ريموند ونزل السلم ليتجه إليهما.. رفعت الريح شعره الكثيف الأسود، فأعاده إلى مكانه بحركة غير مكترثة من يده قبل أن يصعد اللاندروفر قرب السائق..

أحست فيلومينا أن كل مشاعرها تتحرك لرؤيته.. وأحست بخديها يتوهجان من الحمرة.. ماذا هناك ليجعلها تضطرب هكذا؟ ولماذا سرى داخلها هذا الإحساس بالراحة؟ أيمكن أن تكون سعيدة لعودتها إلى ما بين هؤلاء الرجال؟

لم تتوقف السيارة بهم عند الأكواخ، وأكملت سيرها في الطريق الوعرة الملتوية نحو الوادي، تستدير في المنعطفات الخطيرة التي توقف شعر الرأس، وكانت فيلومينا تتمسك بمقعدها منتظرة أن تقفز السيارة بهم إلى حتفهم. لكن شيء من هذا لم يحدث، فقد كان السائق يعرف الطريق جيداً، وأوصلهم إلى الوادي ليدخلوا القرية.. ثم توقف عند السلم الموصل إلى شرفة الهاسيندا الذي يعيش فيه «أوهالتشاو».

كانت الشمس تختفي شيئاً فشيئاً وراء الجبل، والنسيم الخفيف الذي يحرك أوراق النباتات تحت الشرفة أصبح الآن بارداً.. نزل ريموند من السيارة بخفة وأشار لفيلومينا أن تفعل مثله، لكن حين نزل رافاييل كذلك هز ريموند رأسه وقال بهدوء:

ـ حسناً رافاييل.. أستطيع السيطرة على الأمر.

ـ هل أنت متأكد؟

ـ نعم.. شكراً!

حياه رافاييل وعاد إلى السيارة يجلس مكان ريموند ويرفع يده مودعاً. رد ريموند بهزة من رأسه، ودخل المنزل.

صعدت فيلومينا السلم إلى الشرفة، وقطعتها لتدخل المنزل.. تقدما في الممر وفتح ريموند باب الغرفة التي تقابلا فيها في الليلة السابقة، ودفعها إلى الداخل ليغلق الباب خلفه ويقفله بالمفتاح.. فارتجفت ساقا فيلومينا وتمنت أن يقول لها اجلسي.. لكنه لم يقل أو يفعل شيئاً لبضع لحظات بل أخذ ينظر إليها متجهماً وقد احمرت عيناه وبدا نافد الصبر.

لكنه قال أخيراً:

ـ إذن سنيوريتا.. أنت تحاولين استغفال أوهالتشاو؟

اتسعت عيناها:

ـ لا.. أنا..!



ـ لا تزعجي نفسك في محاولة الإنكار.. لقد حدثني بروسبيرو عما حدث هذا الصباح.. أنت المغفلة فيلومينا.. لقد وثقت بك بما يكفي لأصدقك ساعة قلت إنك تريدين التأكد أن الآخرين بخير.

وضعت فيلومينا يديها خلف ظهرها:

ـ لكنك لم تخبرني أنه قيل لهم إنني لست أهلاً لثقتهم وإنني مؤيدة متطوعة لقضيتكم.

صاح بغضب:

ـ كان هذا إجراء وقائي متعقل.. هناك الكثير من المخاطر هنا.

ـ لا يسمح لي أن أتخذ أي احتياطات.. أليس كذلك؟ وأنت تسمح لنفسك بأن أصبح أنا في موقف تعيس لا أنتمي فيه لأي جانب ولا يثق بي أحد!

صاح بشراسة:

ـ قلت لك إنني وثقت بك.

ـ وهل من المفترض أن يكون هذا كافياً؟ أن يضع أوهالتشاو العظيم ثقته بي!

اسودت عيناه بنذير شر:

ـ احذري فيلومينا.. أنا رجل كاد صبري ينفد.

ردت بازدراء:

ـ أوه! لكنك تعتبر أكثر من مجرد رجل عند هؤلاء الناس! لقد أصغيت إليهم أكثر من اللازم حتى أنك بدأت تصدقهم!

تقارب حاجباه غضباً، وخطا إلى الأمام يمسك كتفيها بقسوة:

ـ يا إلهي! كيف تجرؤين على انتقادي هكذا؟

ارتجفت فيلومينا في قبضته.. وأحست أنه يمرّ بمحنة وأن سيطرته على نفسه أخذت تضعف إلى حد كبير. مهما كانت مواقفه، فهو يحس بها كرجل يحس بوجود امرأة.. رفعت يديها لتدفعه عنها.. لكنها لامست حرير قميصه المفتوح. وأصابعها تلامسه

عرفت سبب سخريتها المتعمدة بطموحه.. لكن كل هذا خطأ.. وأحست بالرعب.. وبعيداً عن أي شيء آخر، هو عدوها، هو زعيم رجال قساة لا يعرفون الرحمة، ولن يتردد في الخلاص من أي شخص يقف في طريقه.

مع ذلك لم تتراجع.. إنها متهورة، غير مسؤولة، حمقاء، لا تستحق ثقة أحد، لكنها تريد أن تكون بين ذراعي هذا الرجل... متنهدة، سمحت لنفسها أن تستند إليه.

فجأة، أفلتت سيطرته على نفسه.. وتأوه قائلاً بصوت أجش:

- يا إلهي! فيلومينا.. أريدك!

أحست أنها تغرق في أحاسيس لا عهد لها فيها، ولم يعد أي شيء له أهمية ما عدا استمراره في احتضانها.

فجأة انفتح الباب دون سابق إنذار، ودخل رجل إلى الغرفة.. متأوهاً، استعاد ريموند وعيه، ودفعها عنه.. ووقفت فيلومينا ترنح، تتساءل من يجرؤ على الدخول دون استئذان.. ولم تنتظر طويلاً لتعرف، فقد أطلق الرجل ضحكة ساخرة قصيرة ووضع ذراعه على كتفي ريموند.

قال بسخرية:

- إذن.. الزهرة الإنكليزية الصغيرة ليست بريئة على أي حال.. يا إلهي ريموند.. ما كنت لأقاطعكما لو كنت أعرف!

استدار إلى فيلومينا ساخراً:

- تشرّفنا سنيوريتا.. أرأيت.. لقد التقينا ثانية كما قلت لك!

* * *



## ٥ - قوانينه الخاصة

أحست فيلومينا بخجل رهيب يجتاحها وهي تواجه أندرو مارتينز.. ماذا يظن بها الآن؟ وماذا تظنه هي؟ ماذا كانت تفعل هنا بسماحها لهذا الرجل.. هذا الغريب.. أن يغازلها هكذا؟ أليس لديها احترام لنفسها؟ لن تلوم سوى نفسها على ما حدث الآن! ومن تعابير وجه ريموند، استطاعت أن ترى أنه كان ينظر إليها بازدراء.

تفرس أندرو بهما معاً بعينين ساخرتين.. ثم جلس على أحد المقاعد قرب النار ومدد ساقيه ليريحهما على ذراع مقعد آخر. وقال متكاسلاً:

- يبدو أنني تطفلت في اللحظة الخاطئة..

مرر ريموند يده في شعره غاضباً:

- اصمت! إن كان لديك أي تعليق فاحتفظ به لنفسك يا أندرو!

ارتفع حاجبا أندرو بسخرية:

- نعم سيدي.. هل ستدعني أعرف متى يسمح لي بأن أتكلم؟

أطلق ريموند شتيمة بلغته، ونظر بغضب إلى أندرو:

- ماذا تريد؟ لماذا أنت هنا؟ لا أذكر أنني دعوتك؟

أخرج أندرو علبة سيكار رفيع، وضع أحدها بين أسنانه:

- وهل أنا بحاجة إلى دعوة لأزور أخي؟ لقد أرسلتني أمنا إذا كنت مضطراً لتقديم عذر.

نظر ريموند إليه باكتئاب، وقال بحدة:

ـ حسناً . . ولماذا أرسلتك؟

أخذ أندرو يتفحص سيكاره بانزعاج قبل أن يرد بسؤال ساخر:

ـ ألا يمكنك أن تخمّن؟

ضم ريموند شفتيه بنفاذ صبر:

ـ أيجب أن تتكلم دائماً بالألغاز أندرو؟ أيمكنك أن تقدم رداً مباشراً أم لا؟

فرقع أندرو بلسانه، وتمتم وهو ينظر إلى فيلومينا الواقفة جامدة صامتة:

ـ يا إلهي ريموند . . يبدو أنني وصلت وأنت في مزاج متفجر . . عجباً . . لماذا؟

ظهر الشر على وجه ريموند: أندرو!

رفع أندرو يده استرخاء:

ـ أوه! حسناً! سأتوقف عن المزاح معك . . أمنا العزيزة عرفت بضيفتك المقيمة عندك.

نظر ريموند إلى فيلومينا مقطباً، ثم قال بلهجة ساخطة:

ـ وأنت بالطبع لا تعرف من قال لها؟

رفع أندرو كتفيه ببراءة.

ـ وكيف لي أن أعرف؟

استدار ريموند، وتقدم إلى صينية عليها إبريق قهوة وصب لنفسه فنجاناً . أخذ يشربه . . نظر أندرو إليه بعينين ضيقتين وقال:

ـ أريد بعضاً من القهوة ريموند . . هذه هي الطريقة المعتادة للضيافة . .

تجاهله ريموند تماماً وأنهى شرب قهوته . . وصب لنفسه فنجاناً آخر . . تنهد أندرو وهو يشعل سيكاره، ثم وقف ليصب لنفسه القهوة . . وهو يمر بفيلومينا، رفع ذقنها بيده ينظر إليها . ثم مرر أصابعه على آثار الصفعة على وجهها وقال:



ـ لا يمكن أن أصدق بأن أخي قادر على مثل هذه القسوة.

استدار ريموند وصاح بخشونة:

ـ ابعد يدك عنها.

هز أندرو كتفيه وأنزل يده مذعناً . . ثم قال بخشونة، وعيناه في عيني فيلومينا:

ـ لقد تكلم أوهالتشاوا تبدين متعبة يا صغيرة . . هل كانت الأربع والعشرين ساعة الماضية مرهقة؟

استجابت فيلومينا إلى لطفه كمخلوق جريح يستجيب إلى من يلاطفه . . مع أنه بدا لها واضحاً أن اهتمامه بها كان دافعه الرغبة في إزعاج ريموند.

نظر أندرو إلى ريموند وسأله متعمداً:

ـ لماذا جئت بها من الطائرة؟

ـ هذا شأني لوحدي!

قطب أندرو:

ـ أنت تثير حيرتي يا أخي . . لا شك أنك تعرف أنني كنت أتوقع أن أجدها على الطائرة حين وصلت.

ـ وهل خاب أملك؟

ـ أجل . . وما هي ردات فعلك؟

ـ إحساسك الذي يميل إلى الدراما لا يروق لي أندرو . . مهما كانت دوافع تصرفاتك، لا يمكنك أن تكون متأكداً دائماً من النتيجة.

تقدم أندرو إلى الصينية، وصب لنفسه فنجان قهوة بتكاسل ظاهر . . وهو يقول ببطء:

ـ بالعكس ريموند. في هذه اللحظة بالذات، أعتقد أن عليك الموافقة بأن نتائج أعمالي كانت مرضية . .

أمسك ريموند بمقدم قميص أندرو بقبضة يده فحبست فيلومينا أنفاسها بحدة . . بالتأكيد سيضربه . .

صاحت برعب: ريموند!

بقوة شرسة دفع ريموند أخيه بعيداً، ثم دس يديه في جيبي سرواله.. استعاد أندرو وعيه بخفة، كما استعاد التعبير الساخر على وجهه.. ارتشف القهوة التي صبها لنفسه، ثم قال:

- أتظن أن علي شكر السنيورينا ريموند؟ أمنا تريد أن تراك..

أدار ريموند عينيه المكتئبتين إلى أخيه، وقال بمرارة:

- نظن نفسك كسبت.. أليس كذلك أندرو؟

وسّع أندرو عينيه:

- كسبت.. ريموند؟ هل تتنازل في معركة؟

كان من الواضح أن ريموند يجد صعوبة في السيطرة على نفسه.. وتساءلت فيلومينا ماذا هناك بينهما ليثير هذا العداء.

تقدم ريموند إليها.. ينظر إليها بهدوء.. وأذهلها تصرفه المتحفظ.. وبدا لها أن من المستحيل تصور أن هذا الرجل البارد المتحفظ هو الذي كان يحتضنها بين ذراعيه منذ دقائق. الآن لم تجد في عينيه سوى الكراهية التي تشوب قسمات وجهه الجذابة.

قال ببرود:

- يجب أن أذهب مع أندرو.. ستبقين هنا.. مفهوم؟

أحست بإحساس كراهية متصاعد، وصاحت:

- وماذا أفعل هنا بالضبط؟ أنت لم ترد على سؤال أخيك.. لماذا جئت بي من الطائرة؟ أريد أن أعرف..!

ضاقت عينا ريموند، وأخفت رموشه الطويلة عمقهما:

- كما قلت له.. لست مضطراً لتبرير ما أفعله أمام أي منكما!

صدر عن أندرو صوت مستهجن.. فاستدار نحوه، وأكمل بحدة:

- قد يهم أمنا أن تعرف كيف حدث أن كانت الآنسة دياري على هذه الطائرة بالذات.



بدا أندرو مرتبكاً قليلاً، وقال بلهجة دفاع عن النفس:

- مجرد صدفة.. لا أكثر.

- أتعتقد أنها ستصدق هذا؟ أتعتقد أن أي أحد سيصدق؟

هز أندرو كتفيه متظاهراً بالشجاعة:

- لم يعد من المهم كثيراً الآن ما تصدق أو لا تصدق.. لدي الدليل الذي رأيته بعيني.

التوى وجه ريموند بالازدراء، واستدار إلى فيلومينا:

- يجب أن أذهب مع أخي.. مانويلا ستوفر لك وجبة بعد ذلك أصحك بالراحة.. كان يوماً مرهقاً لك!

ردت فيلومينا وقد أغضبها عدم اكتراثه بمشاعرها:

- قلقك جاء متأخراً قليلاً. لا أريد وجبة طعام.. ولا رغبة لي في أكل أي شيء.. وبكل تأكيد لا أريد الذهاب إلى الفراش.

سيطر ريموند على غضبه:

- ماذا تريدينني أن أفعل؟ أضع حارساً معك.. رافاييل مثلاً؟ أجعلك سجينة كما يبدو أنك راغبة أن تكوني؟

تنهدت مهزومة:

- أوه.. اذهب مع أخيك! سأفعل ما.. تأمر به!

ضم ريموند قبضتيه، وقال بحدة:

- أنت تعقدين الأمور على نفسك كثيراً.. طلباتي ليست غير معقولة، وصدقيني أنها لصالحك.

كانت عينا أندرو تنظران باستهزاء من وراء ظهر أخيه، وعرفت فيلومينا أنه يجد الموقف كله ممتعاً.. وتحركت نحو المقاعد قرب المدفأة مديرة ظهرها لهما معاً.

صُفق الباب خلفهما، وبينما كان وقع أقدامهما يبتعد في الممر، غاصت فيلومينا بضعف في أحد المقاعد.. ريموند على حق، إنها مرهقة.. لكن الكثير من إرهاقها كان مرده الدقائق الأخيرة

المدمرة التي أمضتها بين ذراعيه.

هبط الظلام وهي جالسة هناك.. ودخلت مانويلا لتعيد إشعال النار.. لم تظهر أية دهشة حين رأتها تقبع هناك في العتمة.. بعد قليل عادت تحمل صينية عليها لحم طازج وسلطة وفاكهة.. ومع إعادة الوجبة لبعض الطاقة إلى جسمها تحركت في الغرفة، تقرأ عناوين بعض الكتب وتنظر خلسة في أدراج المكتبة. لم تكن تتطفل، بل تحاول أن تجد شيئاً، دليلاً ما على الطبيعة الحقيقية للرجل الذي تتعامل معه.

لكنها لم تجد شيئاً قيماً.. الكتب على الرفوف كانت متنوعة لا يمكن أن تفيدها بشيء..

الخرائط كانت لمونتي رافيردي.. وذهلت فيلومينا لمعرفتها أن البلاد كبيرة فعلاً.. أما العاصمة «كويرا توقا» فهي على السهل الساحلي، وتبدو مدينة متسعة يسكنها ثلثا مجموع السكان العام.

على الخريطة، كان هناك علامات فارقة لم تفهمها.. وتساءلت عما تدل.. كانت رسومات بدائية تصل أسفل الجبل وطرقات مخططة لتصل إليها.. أيمكن أن تكون المناجم؟ لكن أي نوع من المناجم.. وعن أي شيء ينقبون؟ هزت رأسها.. منذ قدومها إلى لانوقا، بدا أنها تواجه صعوبة إثر أخرى، دون أن تجد الحلول لأي منها.

أخيراً قررت الذهاب إلى الفراش.

حين استيقظت في الصباح التالي، عرفت أنها استيقظت في وقت مبكر أكثر من اليوم السابق.. كان الهواء يحمل برداً قارصاً، وبما أنها خلعت فستانها ليلة أمس، ولم ترتد ثوب نوم، فقد تكورت تحت الأغطية لفترة قبل أن تتشجع على الخروج من السرير.

وبينما عيناها تجوبان الغرفة، جلست فجأة تحدق بحقائبها الموضوعة الآن على الأرض أسفل السرير.. كيف وصلت إلى هنا؟



لا شك أن أحداً دخل غرفتها ليلاً وهي نائمة ليضعها هنا.. لكن من؟

كان من الرائع أن تمشط شعرها بشدة وتخلصه من التشابك الذي شابه في اليوم السابق، وأحست بابتهاج لغسل جسمها بالماء البارد ولارتداء ثياب نظيفة، بعد أن خلعت الثياب المتسخة. ارتدت بنطلوناً بدا لها أفضل ما يناسبها هنا، وبلوزة مشجرة، وأحست أنها أصبحت مستعدة لأي شيء تقريباً.

ذهبت إلى المطبخ لتجد أن مانويلا كانت قد خبزت خبزاً طازجاً.. نظرت إلى فيلومينا دون ابتسام وقالت:

- أنت مبكرة سنيوريتا.. لم تصل الساعة إلى السابعة بعد.

قررت أن لا تأخذ كلام المرأة على محمل الإهانة، وقالت:

- أجل.. أعرف.. لكنني نمت باكراً جداً ليلة أمس، وأحس بالانتعاش هذا الصباح.. حقائبي في الغرفة.. هل.. أحضرها ريمـ.. أوهالتشاو لي؟

مسحت مانويلا يدها بالمريلة ساخرة:

- أحضرها رافاييل ليلة أمس.. وأنا أدخلتها الغرفة.

أحست فيلومينا بمزيج من خيبة الأمل والارتياح: هكذا إذن.

- هل أنت جائعة هذا الصباح سنيوريتا؟

لوحت فيلومينا بيدها:

- قليلاً.. رائحة الخبز لذيذة!

نظرت مانويلا إليها بعناد، ثم استدارت لتضع رغيفين في طبق، وتضع معهما كمية سخية من الزبدة.. أعطت الطبق إلى فيلومينا وأشارت برأسها نحو كرسي قرب الطاولة.

- اجلسي، سأصب لك القهوة.

كان الخبز لذيذاً.. وكانت تلعق أصابعها حين دخل رجل إلى المطبخ من بابه الخارجي، كان أندرو مارتينز، وابتسم لرؤيتها.

- مرحباً سنيوريتا.. أرى أنك حصلت على حقائبك.

ـ أجل . . لقد أحسست بالراحة لتغيير ملابسي .

هز أندرو رأسه :

ـ وهي ملابس جميلة سنيورينا . . أم هل أستطيع مناداتك فيلومينا كما يفعل أخي؟

احمر وجهها :

ـ ماذا حدث للركاب الآخرين؟ ألا زالوا في الطائرة؟

هز أندرو رأسه نفياً وهو يصب بعض القهوة تحت نظر مانويلا الحاد . . ريت كتفها وهو يمر بها ثم جلس قرب فيلومينا .

ـ لا . . لقد نقلوا إلى مكان سكن آخر . . لا تشغلي بالك فيلومينا . . إنهم جميعاً بخير تام، ويُعتنى بهم كما يجب . . صدقيني! ليس في أنفسهم نفس القلق على مصيرك .

قطبت فيلومينا :

ـ هذا ما أصدقه . . لكنه لا يدهشني . . فهناك من قال لهم أن لا يثقوا بي .

قال أندرو بهدوء :

ـ أعرف . . أنا من قلت لهم هذا .

اتسعت عيناها دهشة : أنت؟

ـ أجل . . اعتقدت أن هذا أفضل ما أقوله . . على أي حال، أخي ليس من النوع الذي يتحمل الاتهامات .

هزت رأسها : لست أفهم!

ـ ريموند . . أوهالتشاو . . رجل شريف . . ويجب أن يبقى دائماً شريفاً . . إخراجك من الطائرة كان مخالفاً لمبادئه .

تنهدت :

ـ بدأت أفهم . . لكن لماذا فعل هذا؟

قطب أندرو :

ـ لأسباب مجهولة . . حتى لي . . أخي هو القانون بنفسه لسوء



الحظ .

أحست بالحيرة :

ـ إنه يعتقد أنك كنت تعرف أنني سأكون في الطائرة .

ـ هذا صحيح .

أحست مجدداً أنها تسير في غابة مظلمة تزداد غموضاً :

ـ أكنت تعرف؟

ـ بالطبع! أوه لا تزعجي نفسك، لم تكوني أنت سبب اختطاف الطائرة . . فهذا كان شراً لا بد منه . . لكنه كان . . كيف أقول . . ما يناسب مصلحتي أن تكوني على هذه الطائرة بالذات .

تشوش تفكير فيلومينا تماماً وارتبكت :

ـ لماذا ترغب في اختطافي؟

ابتسم أندرو وأسند ظهره إلى كرسيه :

ـ لدي أسباب خاصة .

ـ أنت تتعمد إثارة قلقي . .

ـ أوه . . لا فيلومينا . . صدقيني . . سأشرح كل شيء لك في الوقت المناسب .

ـ لكن متى؟ كم يجب أن أتوقع طول إقامتي هنا؟

ـ آه . . هذا ما لا أستطيع قوله .

أشارت بيديها دلالة يأس :

ـ لقد مر يومان منذ قطع الاتصال مع الطائرة . . والدي سيفقد عقله قلقاً عليّ .

ـ أوه . . لا . . لقد أجريت ترتيبات لإيصال برقية إلى الريو بأن الطائرة قد اختطفت وأن كل ركابها سالمين .

أحست بارتياح خفيف لهذا الخبر : هكذا إذن!

ابتسم أندرو :

ـ نحن لسنا من الأنذال فيلومينا . . مهما يكن قد سمعت عنا . .

سواريز هو المحرض على هذه الثورة.. وأتمنى أن أعيش لأراه مشنوقاً!

وكان صوته مفعماً بأحاسيس الثورة.

أنهت فيلومينا قهوتها، ووقفت، لتتحرك نحو الباب، ولتنظر إلى الخارج، إلى السفوح الخضراء المليئة عشباً خلف المنزل. تقدم أندرو ليقف قربها، يراقب تعابير وجهها المعبّر بعينين كسولتين:

ـ أخبريني فيلومينا! هل هناك رجل في انكلترا ينتظرك؟

نظرت إليه ببرود:

ـ وما شأنك في هذا؟

ابتسم أندرو:

ـ وماذا يمكن أن يكون هناك عدا أنني أجدك رائعة الجمال، ومثيرة.. ولا تدّعي أنني أول رجل يقول لك هذا.

احمر وجه فيلومينا بالرغم عنها، وركزت نظرها على زهور المانيوليا العاجية اللون قرب جدار الهاسيندا. وقالت بحذر:

ـ أنا لا أدعي.. بل أترك الادعاء لك ولأخيك.

أشرق وجهه بالإعجاب، ثم تغيرت تعابير وجهه فجأة.. نظرت فيلومينا حولها بسرعة لترى أن رجلاً آخر دخل المطبخ، ووقف خلفهما.

قال ريموند ببرود:

ـ أنت هنا إذن أندرو.. كان يجب أن أعرف طبعاً.

استقام أندرو وهز كتفيه، وقال متكاسلاً:

ـ أسيرتك الجميلة جداً تثير اهتمامي، ريموند.. على أي حال، حين تتولى أمّنا زمام الأمور هنا، لن يكون هناك سبيل لمثل هذه اللقاءات.. فأمّنا صارمة جداً..

وابتسم لفيلومينا معتذراً.

قطبت فيلومينا بحيرة:



ـ لكنني لا أفهم.. ما دخل أمك بي؟

نظر ريموند إلى أندرو بنفاد صبر:

ـ ألم يخبرك أخي عن هذا كما أعتقد.

رفع أندرو حاجبيه ببراءة، وقال ساخراً:

ـ ليس من صلاحيتي أن أفعل هذا.. أوهالتشاو.

أربد وجه ريموند غضباً:

ـ لا.. أعتقد هذا. حسناً أندرو! بإمكانك أن تتركنا، لا حاجة لك هنا.

حرك أندرو أنفه الشامخ، وقال بسخط مزيف:

ـ هذا قول غير لطيف، پاترونو.

هز ريموند رأسه ازدراء، وهز أندرو كتفيه قبل أن ينحني نحو فيلومينا قائلاً:

ـ إلى اللقاء!

وسار إلى الخارج حول الهاسيندا، حيث أدركت فيلومينا أن وسيلة نقل بانتظاره.

بعد اختفائه، قال ريموند:

ـ تعالي.. سنتكلم في غرفتي.

نظرت إليه بعناد:

ـ أفضل أن نتكلم هنا.

فتح يديه: كما ترغبين.

نظر إلى مانويلا التي أطرقت بصمت ثم غادرت المطبخ، وأصبحا لوحدهما..

تقدم ريموند إلى المدفأة الواسعة، ووقف وظهره إلى النار.. كان فيه شيء رجولي يثير الاضطراب، وفي مظهره المتحفظ البارد ما تحدى أنوثتها.. لكنها الآن لن تسمح لنفسها أن تفكر به هكذا.. فهي متأكدة أنه يحتقر نفسه لما حدث بينهما لكنه يحتقرها أكثر.

قال:

ـ كالعادة، تبرع أندرو بتلميحاته التي جعلت ما سأقوله أكثر صعوبة.

ـ لماذا؟ مهما يقال.. أنت تصر دائماً على تنفيذ ما تريد. مهما حاول أندرو معارضتك، فالنتيجة النهائية ستكون مهينة.. لذا.. هيا.. قل لي ماذا قررت أمك!

ضاقت عيناه:

ـ أنت تهينني وتهينين أمي!

ـ هذا كل ما بقي لي.. أليس كذلك؟

قال بعنف:

ـ لا.. فأنت محظوظة.. فطالما أنت هنا.. لن تهان كرامتك، أو يُمس جسدك! وكان يمكن أن يحدث العكس.

احمر وجه فيلومينا بشدة:

ـ لا يبدو أنك تقدر ما فعلته بي! مع أنني لم أتضرر جسدياً، لا يمكنك الإنكار أنني نفسياً سجينة كذلك! أوه.. هيا.. تابع.. قل لي ماذا قررت أمك؟

مد يده إلى جيبه وأخرج علبة سيكار:

ـ ستغادرين في وقت لاحق اليوم. ستذهبين إلى منزل أمي، وستبقين هناك إلى الوقت الذي ستتمكن فيه من إطلاق سراحك.. هل هذا واضح؟

ابتلعت فيلومينا ريقها بصعوبة:

ـ أذهب إلى بيت أمك؟ لكن.. لماذا؟

ـ إنها لا ترغب في أن تبقي هنا.

ـ فهمت.

ـ إنها ترى من غير اللائق أن تبقى فتاة شابة في منزلي، ويجب أن أعترف أنني موافق معها.



أخذت نفساً عميقاً:

ـ لماذا؟ لماذا تريدني أن أترك منزلك في وقت أنت من أجبرني على المجيء إلى هنا أصلاً؟

ـ لقد جئت بك إلى هنا.. ليس لأسباب شخصية.

ـ وتجد الآن أنك لا تستطيع السماح لي بالبقاء.. لماذا؟ هل بسبب ما رفضته أمك أو ربما بسبب ما حدث ليلة أمس؟

رد بقسوة:

ـ لن نبحث أمر ما حدث ليلة أمس.

ـ أوه! ولمَ لا؟ هل تحس بالخجل؟ هل ما حدث مشين بالنسبة لك؟

كانت تتعمد إزعاجه، تتعمد جرح كرامته كما جرحها.. ورأته يشد قبضته:

ـ لا تثيري غضبي فيلومينا.. ما حدث بيننا كان نتيجة سلسلة أحداث تسارعت.. وبقدر ما ندمت على ما حدث، لا أستطيع سوى أن أقول إن أية امرأة أخرى كانت ستظهر تشجيعاً أقل منك!

صاحت برعب:

ـ كيف تجرؤ على هذا القول؟ أوه، أنا أحتقرك، أتسمع! أحتقرك! إنك لا تستطيع أن تعترف حتى برغبة طبيعية نحو امرأة.. هل أوهالنشاو العظيم أرفع من طبيعة البشر؟

تقدم نحوها فقفز قلبها إلى حلقها، لكنه استدار عنها، يضع سيكاره بين أسنانه:

ـ لن أدخل معك في جدال سخيف فيلومينا.. أنت حرة في ارائك عني بالطبع.. على أي حال وبغض النظر عن رغباتك الخاصة، ستذهبين إلى منزل أمي، وتفعلين بالضبط ما أقوله لك.

تهدلت كتفا فيلومينا هزيمة.. كالعادة كانت له الكلمة الأخيرة.

- ومتى سنغادر؟

نظر إلى ساعته:

- بعد وجبة الظهر.. يمكنك أن ترتاحي قليلاً وسنغادر بعد الظهر.. المنزل لا يمكن الوصول إليه بالسيارات.. وستركبين الجياد بدءاً من البحيرة.

قالت ببرود:

- أنا لا أعرف ركوب الجياد!

رد بحدة:

- إذن يجب أن تتعلمي.

استدار نحوها مجدداً، ليكمل:

- افهميني فيلومينا.. يجب أن تحسني التصرف في ڤيلا كاليرهاو.. وإلا ستجدين أن صبري له حدود.

سألته بينما كانت تقاوم التوتر الذي يكاد يبدو في صوتها:

- أتهددني سنيور؟

نظر إليها ببرود كئيب وقال بصوت ينذر بشر:

- ربما أكون أهددك.. في هذه الحالة.

* * *



## ٦ - خائفة من الألم

كانت شمس بعد الظهر لا تزال حارة، لكن الهواء رفع شعر فيلومينا وجعله متماوجاً خلفها وكأنه سحابة. وكانت مطيتها فرس رمادية اللون لطيفة المزاج، تتحرك بتناغم تحتها.. بعد أن زال التوتر الذي أصابها، عندما اعتلت صهوة جواد لأول مرة وجدت نفسها تستمتع بركوب الخيل. وبدا أن «بيلا» وهذا اسم الفرس، تعرف طريقها جيداً دون توجيه.

كانت سيارة لاندروڤر قد نقلتهما في أول مرحلة من رحلتهما حتى البحيرة.. وخلال تلك الفترة المتوترة، لم تتكلم فيلومينا الكثير، كانت تجيب فقط حين يكون ذلك ضرورياً جداً. لكن بعد أن تركت اللاندروڤر وامتطت الجواد استرخت أعصابها.. ربما كان السبب في هذا هو الجمال الرائع للمناظر الطبيعية، التي جعلت عدائيتها تتلاشى..

كانت البحيرة التي ذكرها ريموند مساحة ضخمة من المياه، تقع تحت كتلة صخرية ضخمة.. تحيط البحيرة من كل جانب أنواع من نباتات الزينة الاستوائية.. ورأت فيلومينا أنواعاً من الطيور كذلك، رأت البيغاوات الجميلة، الذهبية والزرقاء، ورأت طائر القاوند، الذي كان ينقض على فريسته في الماء بكل خيرة ودقة.

لكن لم تبدأ فيلومينا بالفعل الإعجاب بما حولها من وفرة في الجمال الخلاب، إلا بعد أن بدأت الفرس تصعد بها عبر ممر ضيق



www.rewity.com
بلا عنوان

متمرج، صعوداً على سفح الجرف الصخري. وبدا لها أنه من غير المعقول أن يحوي الوادي هذا الكم من التناقض، من منطقة خضراء مزروعة حول القرية إلى جانب هذا الجمال البري المنقطع النظير لهذا المكان.

ثم، وبعد أن التفت الطريق حول صخر مرتفع، رأت فيلومينا المنزل لأول مرة. وفكرت أنه من المذهل أن يفكر أي إنسان في بناء منزل هنا.. المنزل المبني من حجر رمادي بدا وكأنه جزء مما يحيط به.. بطريقة ما، بُني المنزل تحت حافة متقوسة ناتئة من الصخور التي فوقها، مما يمنحه الحماية الطبيعية.. حول المنزل جدار مرتفع جعل فيلومينا تفكر أن ما من قلعة يمكن أن تكون محمية أكثر من هذا.. وتساءلت كذلك، عن قوة إرادة المرأة التي تسكن هنا، ولوحدها كما يبدو.

التفت ريموند الذي كان يسير في المقدمة على صهوة جواد أسود وقال:

ـ حسن! ما رأيك بمنزلي؟

ـ منزلك؟ لكنني ظننت..

ـ وهل ظننت الهاسندا هي منزلي؟ أوه.. لا! إنها، كما تقولون في انكلترا، مقر عملي.. وهذا كل شيء.

ـ فهمت.

ـ هذا هو المنزل الذي تركه لي أبي بوصفي الابن الأكبر، لكنه في الوقت الحاضر منزل أمي.

كررت فيلومينا ورجفة تَرَقُّبٍ تسري داخلها:

ـ فهمت.. إنه مؤثر جداً.

ـ مؤثر؟ أجل.. أعتقد هذا.. لكنه كذلك جميل جداً ومعزول.. حين تهب رياح الشتاء وتمتلىء هذه القمم من حولنا بالثلج، يصبح وكري مريحاً جداً.



ابتسم ساخراً وأكمل:

ـ هذا مناسب، أليس كذلك؟ الوكر هو عش الصقر.. والنسر.

تمتمت بجفاء:

ـ طيور مفترسة.

اسودت عينا ريموند لحظة قبل أن يستدير عنها فوق سرجه ويهمز الجواد إلى الأمام ليتسلق آخر مرتفع يصل إلى أبواب خشبية، وهما يتقدمان انفتحت الأبواب فجأة، ورأت فيلومينا صبياً في حوالي الخامسة عشرة ينظر بمحبة إلى ريموند وهو يمر به، ويقول له شيئاً.. ثم استدارت عينا الصبي البراقتين إلى فيلومينا، فابتسمت له لا إرادياً وهي تلحظ الفضول على وجهه.

داخل الفناء ترجل ريموند، وأخذ يفك رباطات الحقائب المثبتة على جواده.. وترددت فيلومينا لحظة تنظر حولها بتوتر، فرأى الصبي يقفل الأبواب الثقيلة، قبل أن يركض ويتكلم مع ريموند بلهجة.. وبحركة خرقاء، انزلقت إلى الأرض، وحطت بثقل على الأرض الحجرية.. نظر ريموند نحوها بسرعة وأخذت عيناه تفحصانها، وسأل:

ـ هل أنت بخير؟

تحسست بلوزتها، ومررت أصابعها على وركيها وساقيها، ثم ردت بارتياب:

ـ أعتقد هذا.. لكنني أشعر بخدر في ظهري.

لأن وجهه القاسي قليلاً:

ـ يجب أن تتمرني أكثر على الركوب.. سكان المدن لا يمرنون كفاية.

ـ لست من سكان المدينة!

شدت قبضتي يدها والتفتت تنظر إلى الفيلا.. لا جدوى من الجدال معه!

من قريب، كان للمنزل رهبة مؤثرة أكثر مما تصورت.. كان مبنياً من طابقين، الغرف العليا لها شرفات، لا شك تطل على منظر رائع للمنطقة المحيطة.. وسط الفناء بركة بنافورة، ينمو حولها مجموعة من الشجيرات المزهرة.. بينما تتسلق النباتات المعترشة الجدران قرب المدخل المؤدي إلى الڤيلا.

بينما كان يهتم بالجوادين، تقدم ريموند إلى فيلومينا يحمل حقيبتيها.. وقال:

ـ تعالي.. أنا واثق أن أمي عرفت بوصولنا وهي منتظرة بشوق لقاءك.

نظرت إليه بقلق وقالت بشفتين مضمومتين:

ـ لا أصدقك! إذا كان ما قاله أندرو..

ـ انسي ما قاله أندرو.. تعالي!

تنهدت، ولحقت به إلى داخل المنزل.. دخلا إلى ردهة كانت جدرانها مغطاة بألواح خشبية لماعة من السنديان الفاتح اللون.. هناك بسط من جلد منثورة هنا وهناك، وخزانة أدراج ثقيلة من خشب الماهوغوني، عليها زهرية مليئة بأزهار الأركاديا البيضاء الرائعة.. وبينما فيلومينا مستغرقة بتتبع ما حولها، انفتح الباب الذي كان إلى يمين الردهة وخرجت منه امرأة لتستقبلهما.

إذا كان ما يحيط بفيلومينا قد أذهلها بجماله وأناقته.. فقد أذهلتها السنيورا مارغريتا مارتينز أكثر بكثير.. كانت مختلفة جداً عن كل تصورات فيلومينا.. رشيقة جداً، أنيقة جداً، من النساء اللواتي يتوقع المرء أن يكنّ زوجات لرجال دولة، وأحست فيلومينا على الفور بتوتر ملحوظ أنها تبدو بمظهر أشعث.

أمسك ريموند بيدي أمه، يترك شفتيها تلامسان خده الأسمر، وهو يتمتم بصوت مختلف تماماً: مارغريتا!

ثم التفت إلى فيلومينا:



ـ مارغريتا.. أريدك أن تلتقي بالسنيوريتا دياري.. فيلومينا، هذه أمي!

تقدمت فيلومينا بارتباك، تمسح راحتي يديها ببنطلونها، قبل أن تمد يدها إلى هذا المثال المذهل للأناقة.. وتمتمت بأدب:

ـ كيف.. كيف حالك؟

ـ طاب يومك سنيوريتا..

رمقت مارغريتا فيلومينا بنظراتٍ متفحصة جدية، ثم نظرت إلى ابنها، وأشرقت عيناها بشكل مدهش وهي تلتقي عينيه:

ـ تأخرت ريموند.. بدأت أتساءل عما إذا كنت ستأتي أم لا.

فتح يديه:

ـ قلت إنني سآتي مارغريتا.. ألست رجلاً أحترم كلمتي؟

ـ هذا ما أتمناه ريموند.. أوه.. هذا ما أتمناه صدقاً.

نظر ريموند نحو فيلومينا وعيناه غامضتان، وقال:

ـ إذن، أنت هنا فيلومينا.. وأرجو أن تدركي أن لا مجال للهرب من هنا.

علا الاحمرار خديها.. وقالت بتصلب:

ـ سأتذكر هذا سنيور.

اشتدت قساوة قسمات وجهه وقال متجهماً:

ـ آذن لك باستخدام اسمي.

رفعت فيلومينا قامتها:

ـ أوه.. أجل.. أوهالتشاو!

وأحست بالرضى لازدياد تجهمه.

كانت أمه تصغي إلى هذا الحديث بعينين فضوليتين.. وقالت:

ـ سنبقى للعشاء بالطبع ريموند؟

هز رأسه نافياً:

ـ لا.. للأسف.. يجب أن أعود.. لقد أضعت وقتاً كثيراً حتى

الآن.. هناك عمل يجب القيام به.

أمسكت مارغريتا معصمه بين يديها:

ـ ستكون.. ستكون حذراً يا بني؟

ابتسم ريموند بلطف ابتسامة لم تر فيلومينا مثلها من قبل، بعثت فيها الاضطراب لدفئها وحنانها. وقال لأمه:

ـ سأكون حذراً مارغريتا.. أما كنت حذراً دائماً؟

هزت رأسها وضمت شفتيها، فأحست فيلومينا بالتوتر لهذه المشاعر غير المتوقعة.. ولإخفاء ارتباكها، استدارت لتنظر عبر زجاج الباب نحو الفناء الخارجي.. كانت الشمس تغوص خلف الجبال والظلال الطويلة تلون الشرفة بألوان داكنة.. إحساس مفاجيء بالسوداوية تملكها.. كم من المتوقع منها أن تبقى هنا؟ ولماذا هي التي تتعرض لهذه المعاملة المنفردة؟

دعكت طرف أنفها بإصبع نافذ الصبر.. يجب أن تحاول أن تكون أكثر صلابة، بحيث لو تعرضت لأي شيء يكون وقعه حينها أقل ألماً.. لكن، ما هو الذي سيكون مؤلماً هكذا؟ لماذا يتملكها خوف مفاجيء من ألم غامض؟ هل هو الخوف على مشاعر لن تجلب لها سوى البؤس والدمار؟ إنها تسمح للأحداث أن تسيطر عليها بدلاً من أن تسيطر هي عليها.. ريموند مارتينز ليس كبقية الرجال، ومهما جادلت نفسها، فسيبقى سبب إحساسها بالارتباك..

وتقدم نحوها:

ـ حسناً فيلومينا.. أنا ذاهب الآن، سأعود بعد يومين أو ثلاثة.

رسمت فيلومينا القسوة على تعابير وجهها:

ـ أعتقد أنك لن تستطيع إخباري كم يجب أن أبقى هنا؟

ـ لا! لكنك ستكونين بخير هنا.. وسيُعتنى بك جيداً. وبالتأكيد لن يكون ذلك سيئاً؟



فتحت فيلومينا فمها لتحتج ثم أقفلته.. وكانت مارغريتا تراقبهما بصبر نافد لم تخفه، وكأنما أحس ريموند بهذا فمد يده يفتح الباب قبل ان يخرج دون كلمة أخرى.

مزق ألم حقيقي معدة فيلومينا للحظات.. وتفرست مارغريتا مارتينز بوجهها الشاحب الأبيض بعينين فضوليتين.. وقالت:

ـ تعالي! سأريك غرفتك.. ثم نتعشى معاً.. راتشو!

ظنت فيلومينا أن هذه الكلمة هي نوع من الأمر، لكن مع ظهور رجل من أسفل الردهة، أدركت أنه اسم للخادم.. انحنى بأدب لفيلومينا وأشارت مارغريتا له بأن يأخذ الحقائب.. ولحقت فيلومينا بمضيفتها صعوداً على سلم مكسو بالسجاد، وقد سرى داخلها ارتجاف خفيف.. وصلوا إلى فسحة السلم الطويلة الضيقة، ففتحت مارغريتا باباً إلى اليمين ودخلت مشيرة لفيلومينا أن تلحق بها.

وجدت فيلومينا نفسها في جناح مفروش بالسجاد ما كان ليبدو غريباً عن مكانه لو أنه في فندق فخم في الريو. كان هناك سرير عريض مغطى بمفرش من الساتان الأزرق القاتم، خزانة من خشب الساج، طاولة زينة ومنضدة كتابة من الخشب عينه.. ستائر زرقاء ورمادية تتدلى فوق نوافذ مرتفعة، تفتح على شرفة، تطل على امتداد البحيرة والجبل الذي يعلوها.. وانجذبت فيلومينا دون قدرة على المقاومة إلى الشرفة، وخطت إلى الخارج وأمسكت بالسياج الحديدي بقوة قبل الاستدارة لمواجهة والدة ريموند.

ـ إنه.. إنه منظر جميل جداً.. أنا.. لم أتوقع رؤية شيء كهذا.

سألتها مارغريتا بصوت بارد متحدٍ:

ـ وهل ظننتنا من المتوحشين؟

هزت رأسها نافية:

ـ لا.. بالطبع لا.. الأمر فقط.. حسناً! لم أكن أتوقع أن أجد مكاناً كهذا يبعد جداً عن...

توقفت، كانت ستقول «عن المدينة» لكنها عرفت أنها كلمة خاطئة، تقال لامرأة مثل مارغريتا مارتينز.. ومع أنها لم تتم جملتها، إلا أنها عرفت أن مارغريتا فهمت بالضبط ما تفكر به.

تطلعت مارغريتا حولها في الغرفة:

ـ هذه غرفة ريموند.. لكنه بالطبع لم يعد يستخدمها مؤخراً.

تعرقت راحتا فيلومينا:

ـ فهمت.. أنا.. أنا.. أليس هناك جناح آخر أستطيع استخدامه؟ أعني.. إذا.. إذا كنت تفضلين أن لا أستخدم هذه الغرفة، بالطبع!

استدارت عينا مارغريتا الباردتان نحوها وقالت بثبات:

ـ ستستخدمين هذه الغرفة.

ثم ارتدت تكلم راتشو الذي كان يضع الحقائب عند أسفل السرير.. بعد خروج الرجل قالت لها:

ـ العشاء سيكون جاهزاً بعد أكثر من نصف ساعة بقليل.. سأتركك الآن لتغتسلي وتمشطي شعرك.. انزلي إلى الردهة متى كنت جاهزة.

عضت شفتها بارتباك: أجل سنيورينا.

ترددت مارغريتا قليلاً:

ـ أوه! يجب أن أقول لك.. الحمام مجاور لهذه الغرفة.. لكن لأن هناك واحد فقط يجب أن تتشارك به، الحمامات ترف مكلف هنا!

هزت فيلومينا رأسها، وغادرت مارغريتا الغرفة.

بعد خروجها غاصت فيلومينا في السرير.. هذه غرفة ريموند.. وهذا سريره. لا شك أنه أمر بأن تنام هنا.. بكل تأكيد لم



يكن القرار لأمه.. استلقت إلى الخلف، ترفع شعرها ليصبح عنقها ملامساً للقماش البارد.. يا له من رجل غريب.. رجل لا تملك ضده أية وسيلة دفاع..

فيما بعد، وبعد الحمام، أحست بالانتعاش.. وتساءلت كم عدد من يسكن في «فيلا كاليرهاو».. وتنهدت، إنه اسم ساحر، والمنزل نفسه ساحر.. لكن ماذا عن سيدته؟ مارغريتا مارتينز.. هي سرّ لغز غامض بحد ذاتها.. مع ذلك استعادت فيلومينا الشبه بينها وبين ابنتها، وتساءلت ما إذا كان لها بنات، أم أن ريموند وأندرو هما ولداها الوحيدان.

ارتدت فستاناً من الشيفون الأزرق الشاحب.. كانت مقتنعة أن عليها أن ترتدي ما يبدو أنسب لهذه الأمسية، وكان لديها إحساس بأن مارغريتا لا شك سترتدي أفضل ما لديها لهذه المناسبة أيضاً.

مع وصولها إلى الردهة، نظرت حولها مترددة، خرج رجل من غرفة إلى يمينها، وتقدم ليلاقيها.. وهو يتقدم نحو الضوء، لاحظت فيلومينا أنه كاهن يرتدي ثياباً سوداء وحول عنقه ياقة بيضاء.. كان رجلاً تجاوز منتصف العمر، شديد السمرة قوي البنية، يحمل شبهاً لبقية أفراد أسرة مارتينز.

قال مبتسماً:

ـ سنيورينا دياري.. مساء الخير.

ـ مساء الخير.

أمسك الرجل يدها ورفعها إلى شفتيه بحركة أنيقة، ثم قال:

ـ يجب أن أعتذر عن غياب زوجة أخي فهي لم تنزل بعد.. الآن يجب أن أعرّف بنفسي.. أنا راؤول مارتينز، عم ريموند وأندرو.. والدهما كان شقيقي.

حيته بأدب، وأكمل الكاهن:

ـ هل ندخل إلى.. الصالون؟ زوجة أخي ستنزل حالاً..

رافقته دون اعتراض، ودخلا إلى غرفة ضخمة، كان سجادها فخماً بلون ذهبي قاتم ورسومات زرقاء، بينما المقاعد والأرائك المريحة منجدة بلون ذهبي ناعم. كان هناك خزائن مليئة بالكتب، طاولة، مسجلة، ومدفأة ضخمة، لم تكن الستائر مغلقة، وكان لا زال هناك بعض النور في الخارج.

أشار عم ريموند لها أن تجلس قرب النار. جلس قربها يتفحصها باهتمام واضح، حين ارتفع بصرها إليه ابتسم لها وتمتم:

ـ أنت مرتبكة سنيوريتا.. لا داعي لهذا.. لا شيء يثير الخوف منا.. خافي من نفسك فقط.

قطبت جبينها: ماذا تعني؟

عبس بدوره وهز كتفيه:

ـ أحس بنوع من.. الضعف فيك سنيوريتا.. بالنسبة لي هذا يعني شيئاً واحداً فقط.. أنت متورطة فيما يحدث.. ربما لا ترغبين في هذا التورط.. مع ذلك فأنت متورطة.

ابتسمت:

ـ هل أنت عالم نفسي سنيور؟

ضم شفتيه:

ـ ألسنا جميعاً قادرين على تقييم أمثالنا من البشر؟ كنت فقط أعلق على دفء طبيعتك التي لا ريب فيها.

ـ لكنك لا تعرف شيئاً عني سنيور.

ـ نادتني الأب راؤول..! وأنا أعرف الكثير عنك.. ريموند وأندرو معاً كلماني عنك.. ووجودك في الوادي يسبب قلقاً واضحاً.

ـ لكن.. لماذا؟

تنهد الأب: ألا تعرفين؟

ـ لو كنت أعرف أكنت سألت؟ أنا آسفة، كان هذا جواباً فظاً.



ابتسم راؤول:

ـ لكنه مفهوم! أخبريني ما رأيك بهذا المنزل؟

هزت كتفيها:

ـ إنه.. إنه.. ما لم أكن أتوقعه. أتعيش هنا كذلك سنيور؟

هز رأسه:

ـ للوقت الحاضر.. لكنني يجب أن أذهب قريباً لأزور المنطقة والقرى الأخرى.. رعيتي تمتد على طول هذه البلاد المضطربة.. لكن عما قريب يجب أن تتوقف معاناتهم عند الإطاحة بالديكتاتور سواريز.

أجفلت فيلومينا للهجته الحاقدة، وكأنما أحس بهذا فتراجع يستند إلى الخلف ويمد ساقيه نحو النار.

ـ يجب أن تسامحيني.. لا يجب أن أدخل السياسة إلى حديثنا.

ـ لا.. أرجوك! أكمل! أجد هذا مثيراً للاهتمام.

هز الأب راؤول رأسه:

ـ أفضل أن أتحدث عنك سنيوريتا.. منذ متى تعرفين ابني أعني؟

قطبت:

ـ منذ حفل الاستقبال في السفارة فقط.. ألم يخبرك؟

ـ ربما، وربما لا! وماذا تعرفين عنهما؟

ـ القليل.. لماذا تسأل؟

ـ أود أن أعرف العلاقة بينكما.. وهذا مهم لي.

ضمت شفتيها وقالت:

ـ وأنا أفضل أن لا أبحث هذه المسألة. تورطي مع ابني أخيك بغير إرادتي.

ـ تعرفين أن هذا غير صحيح.

ـ كل ما أعرفه أن أندرو رتب أمر أن أكون على الطائرة

المخطوفة.. لكن عدا هذا..

وتلاشى صوتها..

ـ لكن ليس بوسعك الإنكار أنك تجديتهما.. مثيرين للاهتمام؟

ـ لا أعرف ما تعني.

ـ أظنك أدركت سنيوريتا.

تغيّر لونها:

ـ اسمع سنيور.. جيء بي إلى هنا تحت الإرهاب والتهديد وسأغادر واديكم بملء إرادتي لو سنحت لي الفرصة!

وكانت تلهث مع انتهاء حديثها، فوقفت على وشك الاعتذار حين سمعت صوتاً من الخارج ودخلت مارغريتا إلى الغرفة وهيمن الوقار على الغرفة حين دخولها.

وكانت فيلومينا محقة في ظنها أن مضيفتها سترتدي أفضل ما لديها للعشاء.. بدت في ثوب من قماش مقصب تركوازي اللون مهيبة، شعرها الأسود مثبت بأمشاط مزينة بالجواهر.. وقرطان من الماس والزمرد يتدليان من أذنيها.. نظرت إلى الأب راؤول ثم التفتت إلى فيلومينا لتلاحظ وجهها المحمر.. فأعادت نظرها إلى سلفها:

ـ راؤول؟ ماذا كنت تقول لضيفتنا؟

فتح راؤول يديه معتذراً:

ـ لا شيء له شأن مارغريتا.. فالسنيوريتا تحس بضيق شديد من وضعها هنا، هذا كل شيء.

سألت فيلومينا بتوتر:

ـ هل تعذراني؟ أنا.. أنا لست جائعة، وأنا متعبة.. كان يوماً طويلاً ومضنياً!

قطبت مارغريتا:

ـ أوه.. هيا الآن سنيوريتا دياري! بالتأكيد أنت لست خائفة



هنا.. أؤكد لك أنه لن يحدث أي استجواب الليلة.

ضمت فيلومينا يديها معاً:

ـ إذا كنت لا تمانعين...

قالت مارغريتا بحزم:

ـ لكنني أمانع.. والآن دعونا من هذه السخافات.. راشو حضّر لنا الطعام. راؤول.. هل ندخل؟

قدم العشاء في غرفة صغيرة ملحقة بالصالون الكبير.. كانت الطاولة مضاءة بالشموع المثبتة على شمعدانات.. حاولت فيلومينا جاهدة أن تأكل حين قدم لها الطعام في أطباق من الخزف الصيني الفاخر... لكن لم يكن لديها شهية ولم يغرها شيء من الطعام اللذيذ الذي قدم.

تبعت القهوة الطعام.. وكانت لذيذة، قوية، ورائحتها فواحة. ثم عادوا إلى الصالون، وسمح لفيلومينا أن تهرب. كانت متأكدة أن مضيفتها تحب أن تستجوبها، لكنها فضلت أن تؤجل الأمر.. هكذا صعدت إلى غرفتها وأقفلت الباب كي لا يزعجها أحد.

دون إضاءة الأنوار سارت إلى الشرفة.. كانت أنوار باهتة تشع من البعيد، وتساءلت إذا كان من الممكن رؤية الطرف الآخر من الوادي من هنا.. وبدا هذا مشكوكاً فيه.. إلى الأسفل، كانت البحيرة تمتد.. وصوت الشلال كان كالرعد البعيد يحمله الريح إليها..

المكان هنا موحش جداً، هادىء جداً، وبدا من غير المعقول أن يكون هنا بسبب أعمال عنف يمارسها بعض الرجال. ولم يبدُ لها أنه من الممكن وراء هذه الجبال أن يكون هناك رجل يترأس حكومة لا تعرف أن هناك خططاً توضع في هذه اللحظات لتدمير النظام..

* * *

# ٧ ـ في وادي الأسرار

حين استيقظت فيلومينا في الصباح التالي ظلت مستلقية تتساءل عن مكان وجودها. . كان السرير الفخم مريحاً جداً حتى أنها لم تستطع أن تصدق أنها لا زالت في «لانوفا» لكن مع عودة الوعي الكامل إليها تمددت بتكاسل وأخذت تتساءل مجدداً، كم مضى من الوقت على استخدام ريموند لهذا السرير. . وشعرت بدفء يسري في جسمها عند التفكير به، وبحركة سريعة نزلت من السرير، سارت نحو الباب الزجاجي ثم اتكأت على سياج الشرفة. .

ما زال الهواء بارداً. . نظرت إلى ساعتها التي أخبرتها بأن الوقت تجاوز السابعة بقليل. .

استدارت عائدة إلى الغرفة واغتسلت بسرعة، ثم ارتدت بنطلوناً أسود، وكنزة زرقاء مرتفعة الياقة. . وبدا المنزل وكأنه مهجور وهي تنزل إلى الردهة، فنظرت حولها متعجبة متسائلة: ما هي ترتيبات وجبة الفطور هنا؟

بينما كانت تقف هناك برز صبي من جهة المطبخ، وتعرفت فيلومينا عليه، إنه الصبي الذي اهتم بالجوادين في اليوم السابق. كان يحمل صينية قهوة، وابتسم عندما شاهدها.

قال بأدب:

ـ نهارك سعيد، سنيوريتا! أنت مستيقظة باكراً.

كانت مسرورة لأنه يتكلم الإنكليزية، هزت رأسها:



ـ هذا واضح. . قل لي في أي وقت تتناول السنيورا مارتينز الفطور؟

قطب الصبي:

ـ السنيورا مارغريتا تتناول الفطور عادة في غرفتها سنيوريتا. . وصينية القهوة هذه هي للأب راؤول. . فهو سيغادر قريباً إلى الكنيسة في الوادي.

احتارت فيلومينا لحظات: هكذا إذن!

ـ إذا رغبت سأجيء لك بالقهوة سنيوريتا، بعد أن أوصل هذه إلى الأب!

هزت فيلومينا رأسها ممتنة:

ـ شكراً لك، سأكون في الصالون.

قال الصبي وهو يخطو إلى الأمام ويفتح أحد الأبواب:

ـ توجد هنا مكتبة صغيرة. . ربما تفضل السنيوريتا الجلوس هنا؟

دخلت فيلومينا الغرفة مترددة، لتجد جدرانها مليئة برفوف الكتب. . حتى في هذه الساعة المبكرة، كانت النار تشتعل في الموقد، وكانت الغرفة دافئة جداً ومريحة. التفتت إلى الصبي قائلة:

ـ شكراً لك، هذا مكان رائع. . ما اسمك؟

ـ بيدرو سنيوريتا.

ـ شكراً بيدرو. . سأنتظر هنا.

أغلق بيدرو الباب وراءه. . نظرت لومينا حولها باهتمام. . واضح أن الغرفة تستخدمها السنيورا رتينز كمكتبة وللمطالعة أيضاً. . وربما كان ريموند يستخدمها كذلك عندما كان هنا. كان منظرها أقل روعة مما للصالون، ولكنها بدت أكثر ألفة وأنساً. .

حين عاد بيدرو كان يحمل صينية عليها إبريق قهوة وأرغفة خبز صغيرة لا تزال ساخنة، إضافة إلى طبق من الزبدة، ومرطبان من

المربى البيتي . . فنظرت فيلومينا إليه وقالت بمرح :

ـ كيف عرفت أنني جائعة؟

ابتسم بيدرو :

ـ واضح أن السنيوريتا جائعة، فأنتِ لم تأكلي الكثير على العشاء ليلة أمس .

ـ وكيف عرفت هذا؟

ـ والدتي هي الطباخة .

ـ والدتك؟

ـ نعم! راتشو هو أبي أيضاً .

ـ آه . . ! وكلكم تعملون هنا للسنيورا؟

ـ نعم سنيوريتا! السكن لطيف جداً هنا .

تناولت فيلومينا الخبز، ثم رفعت رأسها لترى بيدرو يراقبها . . فقطبت قائلة :

ـ أتريد قول شيء بيدرو؟

قطب بدوره :

ـ قال لي أوهالتشاو . . السنيور، إنك قد ترغبين بركوب الخيل وطلب مني أن أقدم نفسي كمرافق لك .

دهشت حتى أنها نسيت الرسميات :

ـ ريموند قال لك هذا؟

ـ نعم سنيوريتا!

أحست بالارتباك، ثم قالت :

ـ سأستمتع برفقتك كثيراً بيدرو! لكن هل أنت واثق أن السنيور قال أن لا بأس في مغادرتي للفيلا؟

ـ نعم سنيوريتا! ثم إنني سأكون معك!

نظرت إليه بقلق، فتجهم وجه الصغير :

ـ أستطيع استخدام البندقية سنيوريتا، أنا لست ولداً . . أنا



رجل!

احمر وجهها قليلاً :

ـ أنا . . واثقة أنك هكذا بيدرو . . وأنا آسفة لو ألمحت إلى عكس ذلك!

ابتسم بيدرو مجدداً : لا بأس سنيوريتا!

تراجع إلى الوراء وأمسك بقبضة الباب، وأكمل :

ـ هل ستكونين جاهزة للخروج بعد حوالي نصف ساعة؟

ـ نصف ساعة؟ أتعني أن علينا امتطاء الخيل هذا الصباح؟

ـ ألا ترغبين في هذا؟

هزت رأسها باستسلام :

ـ لم أفكر بالأمر . . لكن أعتقد أن بإمكاننا فعل هذا . حسناً جداً بيدرو! إذا كنت تظن أن السنيورا مارتينز لن تمانع .

ـ السنيورا مارغريتا لا تستيقظ قبل العاشرة . . وسنعود قبل أن تعرف أننا خرجنا .

لم تكن فيلومينا واثقة أبداً إن كان هذا ما يعنيه ريموند حين اقترح على بيدرو أن يرافقها في الركوب . . لكنها لم تكن راغبة في أن تفكر به في الوقت الحاضر . . قالت له :

ـ حسناً جداً! سألتقيك في الفناء بعد حوالي النصف ساعة .

بعد مغادرة بيدرو، أنهت فيلومينا تناول فطورها ثم استراحت لبضع دقائق في مقعدها قبل أن تذهب لترتدي كنزة أخرى . . وسرت الإثارة في عروقها بطريقة لم تختبرها من قبل . . بيدرو صبي لطيف وهي متأكدة أنه بارع مع بندقيته كما يدعي تماماً، وإلا لما وافق ريموند على ترك مثل هذه الحرية لها . . مع كل هذا لماذا يهتم بما قد يحدث لها، كان أمراً أبعد من استيعابها .

لم تكن الساعة قد أصبحت الثامنة بعد، حين غادرا الفيلا . . وترجل بيدرو ليقفل الأبواب وراءهما . . ولم تستطع فيلومينا إلا أن

تشعر بالخوف وهي تنظر إلى الطريق المنحدر، وانتظرت إلى أن عاد بيدرو إلى الركوب، وسمحت له بأن يقودها عبر الطريق على جواده الكستنائي الصغير.. الصعود كان أمراً مرعباً، لكنها رفضت أن تخاف، وتركت «بيلا» تسير لوحدها نزولاً في الطرق الصخرية.. بعد قليل عادت إليها ثقتها بنفسها، وتمكنت من أن تستمتع بيومها وبالمناظر الطبيعية الخلابة المنتشرة في المنطقة.

لا شك أن بيدرو أحس بتوترها، فهو لم يكلمها إلى أن وصلا إلى السفوح المنخفضة.. وسألته وهي تنظر إلى الوراء سعيدة للخلاص من الطريق الشديدة الانحدار التي تركاها:

ـ إلى أين ستأخذني؟

نظر بيدرو حوله:

ـ إلى أين ترغبين في الذهاب؟ يمكننا أن نسير بمحاذاة شاطىء البحيرة إذا أحببت.. أحياناً أجيء إلى هنا لأسبح.

أثار الصبي اهتمام فيلومينا بالرغم عنها:

ـ تسبح؟ لكن أليست المياه باردة؟

اعترف ضاحكاً:

ـ بل مثلجة! لكنها صافية رائعة.. تعالي، سنذهب من هنا.

أطلقت فيلومينا العنان للفرس التي أخذت تجري وراءه.. من هنا بدت البحيرة خضراء تماماً. لكن فيلومينا عرفت أن هذا اللون هو انعكاس للأشجار الخضراء.

أدار بيدرو مطيته بعيداً عن الماء، عبر حزام من الأشجار.. وخرجا إلى فسحة مفتوحة من الأرض، وعلى بعد رأت فيلومينا دخاناً يتصاعد.. فسألت باهتمام:

ـ هل هذه قرية أخرى؟

نظر بيدرو، وهز رأسه مقطباً:

ـ لست أدري.. لا أعرف أحداً يعيش هنا.



أحست بالإثارة في أعماقها.. وسألت:

ـ أتعني أن هذا قد يعني المشاكل؟ أتعتقد أن أحداً يحاول غزو واديكم؟

نظر إليها بازدراء:

ـ بالطبع لا.. ليس هناك ممر إلى الوادي من هنا!

قطبت:

ـ لكن بالتأكيد هناك طريق ما!

هز بيدرو كتفيه:

ـ أوه! أجل، هناك طريق.. لكن هذا أمر آخر.. فلا تسأليني عن أشياء كهذه.

احمر وجه فيلومينا.

ـ لم أسألك. كنت أحاول التعليق فقط.

ضم بيدرو شفتيه:

ـ حسناً جداً.. أنا آسف!

لكنه بدا متزعجاً لرؤية الدخان وأحست بالأسى من أجله، فقالت متنهدة:

ـ ألا يمكننا الذهاب لمعرفة ما يجري؟

لوّح بيده دلالة نفاد صبر:

ـ لا يمكن أن تكوني جادة سنيورينا! كائناً من يكون مسؤولاً عن هذا الدخان، لن نستطيع المخاطرة إلى أن نبلغ أحداً بالمسألة.

هزت كتفيها: إذن؟

عض على شفتيه، وقال ببطء وكأنه يفكر بصوت مرتفع:

ـ في مكان ليس ببعيد من هنا.. هناك مركز للجيش.. ويمكنني الذهاب إلى هناك.

ـ وأنا؟

قطب:

ـ أتستطيعين العودة لوحدك؟

شهقت:

ـ لا! ألا يمكنني المجيء معك؟

نظر إليها عاجزاً:

ـ لن يكون أوهالتشاو راضياً لو أخذتك معي.

هزت كتفيها:

ـ وهل يجب أن يعرف؟

مرر يده على شعره:

ـ أجل.. لا! أوه.. لست أدري!

صاحت فيلومينا:

ـ أوه.. بحق السماء! توقف عن التصرف كالأطفال. قلت لي إنك رجل..

تنهد بيدرو:

ـ أنت محقة بالطبع! يجب أن أذهب لأبلّغ.. حسن جداً سنيورينا! يجب أن تأتي معي.. لكنني أحذرك..

هزت رأسها:

ـ لا تهددني بيدرو.. فليس لدي النية لمحاولة الهرب. ثم إلى أين يمكنني أن أهرب؟

ـ أنت محقة مرة أخرى.. والآن هل تعرفين الركوب جيداً؟ يجب ألا نضيّع الوقت.

كانت فيلومينا تشك كثيراً في قدرتها على الركوب السريع لكن بيدرو قال لها أن تنحني فوق عنق الفرس، وتتركها فتختار الطريق، إنها فرس واثقة القدم، ويمكن الاعتماد عليها بألاّ ترميها عن ظهرها.. مع ذلك، لم يمضِ على سيرهما ربع ساعة، حتى أحست فيلومينا بالتورم في كل أطرافها.

الطريق التي سلكاها أوصلتهما إلى حيث أوقف ريموند



اللاندروفر في اليوم السابق.. لكن بدلاً من العودة نحو القرية، استدارا نحو طريق ضيقة انفرجت بالتدريج لتصبح ممراً مرصوفاً بالحصى يجري متوازياً مع سكة الحديد.. هذا الاكتشاف كان مفاجئاً لفيلومينا، بحيث أنها نسيت تعبها، وأخذت تتساءل إلى أين يأخذها بيدرو بالضبط.. شاهدت أمامها عدداً من الكهوف اختفى خط سكة الحديد في أحدها.. وشاهدا بعض الرجال المتجهمين الجادين، الذين لوحوا لبيدرو وحدقوا بفضول ظاهر إلى فيلومينا. لا شك أنهم عمال المنجم.. وتساءلت عم ينقبون هنا في جبال لانوقا.

ولم تكن مضطرة للانتظار طويلاً.. فإلى الأمام، رأت عربات ثقيلة محملة بمواد تشبه الصخور بانتظار شحنها بعيداً، وهنا توقف بيدرو ونزل عن جواده قرب رجل يبدو عليه الغضب، وراقبت فيلومينا الرجل يصيح ببيدرو غاضباً بلغتهم، ويشير بشكل وحشي إلى فيلومينا، ثم إلى عدة أماكن مسقوفة محيطة، خرجت منها مجموعات من الرجال لمراقبة ما يجري.

واضح أن هذا هو المنجم.. وبيدرو فعل أمراً لا يغتفر بمجيئه إلى هنا.. ولأول مرة أحست بقشعريرة خوف وهي تتساءل ماذا سيقول ريموند عن هذه الحادثة.. لكنها كانت بريئة من أية مسؤولية.. لقد شاهدا الدخان وكان على بيدرو أن يبلّغ.. ولا شك أن هذا عذر كافٍ.

بدأ بيدرو الآن بالشرح، يشير بحركات غامضة، يخبر الرجال عما اكتشفاه.. أصغى الرجال بتجهم، ثم أطلقوا سيلاً جارفاً من التساؤلات، جعلت بيدرو يتمسك بسرج جواده بضعف.. وأخذ يهز رأسه، ينظر بحزن إلى فيلومينا التي تحركت فوق فرسها دون ارتياح.

أخيراً وبعد أن بصق أحدهم بفظاظة شديدة أمام بيدرو، سمحوا

له بالعودة إلى جواده، ومال إلى الأمام يمسك سرج فيلومينا هامساً بحدة:

ـ فلنخرج من هنا!

تمسكت بالسرج وهو يقود الجوادين ثم يطلق لهما العنان ليعودا من حيث أتيا.

سارا بصمت لفترة.. نظرت فيلومينا إليه بفضول، تتساءل ماذا يمكن أن تقول.. واضح أنه تلقى اللوم لمجيئه بها إلى المنجم.

قالت متنهدة:

ـ بيدرو! ما الأمر؟ ماذا حدث هناك؟

استدار ينظر إليها متجهماً.. ثم لانت قسمات وجهه:

ـ هل فهمت شيئاً؟

هزت كتفيها:

ـ حسن! بدا لي واضحاً أنهم لم يكونوا راضين عن وجودي هنا.. لكن لِمَ كان غضبهم؟ أنا مجرد امرأة. ماذا توقعوا مني أن أفعل؟

مرر يده على مؤخرة عنقه بقلق:

ـ ما كان يجب أن آخذك إلى هناك.. أوهالتشاو سيغضب!

هزت رأسها بنفاد صبر:

ـ بحق السماء بيدرو كان عليك الإبلاغ عن الدخان!

ضم شفتيه:

ـ أوه.. أجل.. كان هذا من واجبي!

نظرت إلى مؤخرة رأسه ساخطة:

ـ ما الأمر؟ ألم يهتموا بما قلته لهم؟

ـ لا!

ـ لكن لماذا؟ هل هناك من يسكن هناك؟

تجاهل سؤالها وهمز مطيته إلى الأمام:



ـ تعالي! لقد تأخرنا.. السنيورا ستقلق عليك.

صاحت فيلومينا بغضب مع ابتعاده عنها:

ـ بيدرو! بيدرو.. انتظر!

سارا بقية طريقهما بصمت.. النزهة التي بدأت على خير ما يرام انتهت بشكل سيء.. ويبدو الآن أن بيدرو لن يواجه المتاعب لوحده، بل هي أيضاً ستواجهها.

كانت الساعة تقارب الحادية عشرة مع دخولهما أبواب القيلا.. وبينما كانت فيلومينا تنزل عن فرسها خرجت السنيورا مارتينز إلى الشرفة تنظر إليهما بغضب.. ثم قالت بشراسة:

ـ بيدرو! أين كنت؟

رفعت فيلومينا يدها توطئة للدفاع عنه، لكنه لم يكن على استعداد لترك امرأة تتكلم عنه، ورد بأدب:

ـ أوهالتشاو سمح لي بمرافقة السنيوريتا حين ترغب في التنزه سنيورا..

لم يخف غضب مارغريتا:

ـ حقاً.. وفي أية ساعة غادرتما القيلا؟

ردت فيلومينا بسرعة:

ـ كانت حوالي الثامنة.

نظرت مارغريتا إليها باشمئزاز:

ـ شكراً لك سنيوريتا، لكن بيدرو قادر تماماً أن يتكلم عن نفسه.

أحست فيلومينا أنها طفلة تتلقى التأنيب وانتظرت بينما كانت مارغريتا تعنف رفيقها بقسوة.. وأصغى بيدرو بصمت، ومارغريتا تبلغه أنه في المستقبل لن يخرج مع السنيوريتا إلا بناء على أوامرها هي.. أطرق بيدرو وهز برأسه.

هكذا انقلب الصباح إلى كارثة وتمنت فيلومينا متعبة لو تستطيع

أن تذهب لتضع أطرافها المتألمة في حمام ماء ساخن.

أخيراً بدا أن مارغريتا قد رضيت عن توبيخ بيدرو، وبإشارة من يدها، طلبت من فيلومينا أن تسبقها إلى القبلا.. في الردهة، وقفت فيلومينا تحس بالانساخ، كما حدث معها في اليوم السابق.. عيناها تستوعبان الصورة الرائعة التي كانت مارغريتا تظهر بها في ثوب حريري وشعر ممشط مصقول.

أخذت مارغريتا تتفرس بفيلومينا بعينين قاسيتين خاليتين من أية شفقة.. واضح أنها تعتبرها مسؤولة عما حصل، وقالت:

- الآن سنيوريتا! لست مضطرة لأن أذكرك أن وضعك هنا صعب بما يكفي، لقد قمت بتوريط الصبي بيدرو بالمتاعب، ولم يمض عليك هنا أربعاً وعشرين ساعة بعد!

- أنا آسفة سنيورا.

- الأسف لا يفيد أحداً! أقترح عليك التفكير جيداً قبل التصرف في المستقبل.. بكل تأكيد كنت تعرفين أنني أتوقع أن تكوني هنا حين أستيقظ من نومي!

تنهدت:

- كنا نتوقع أن نعود قبل هذا الوقت.

- ولماذا لم تعودا؟

- لا بد أننا سرنا أكثر مما كنا ننوي.

ولم تكن قادرة على أن تقول لها ماذا حدث خاصة وأن بيدرو لم يفعل. رفعت مارغريتا رأسها، وقالت بحدة:

- بالطبع كنت أعرف أنه ستحصل مشاكل.. لقد كان أندرو غبياً في ظنه أنه قادر على إدارة مسار الأحداث!

نظرت إلى فيلومينا مرة أخرى بازدراء:

- أوه.. اذهبي وغيري ملابسك! تبدين متسخة غير مرتبة.. كما أتوقع نزولك إلى الغداء في الساعة الواحدة.



لم تكن فيلومينا بحاجة إلى دعوة أخرى، مع أن كرامتها تمردت على تهويل مارغريتا.. إنها ليست طفلة، ليست ولداً مثل بيدرو يعتمد عليها لمعيشته، وليست مضطرة لأخذ الأوامر منها.

مع ذلك كان من الأفضل أن لا تجادل.. دونما انتظار لأي كلام، صعدت السلم مسرعة.

مرّ ما تبقى من اليوم بهدوء، وكانتا لوحدهما على الغداء.. ومع أن مارغريتا فعلت ما بوسعها لاستجواب فيلومينا، إلا أن فيلومينا نجحت في أن ترد باختصار، الأمر الذي أزعج مضيفتها كثيراً.. وهي تتحدث باختصار عن إقامتها مع أسرة ويزلي.. أخذت تتساءل ماذا سيفعل والدها حين يعلم باختطاف الطائرة.. هل سيطير إلى البرازيل على أمل الحصول على مزيد من الأخبار؟ لكن معرفتها أنه قد تمر أسابيع وحتى أشهر قبل أن تراه كانت فكرة مدمرة.. مع ذلك كان عقلها الواعي يحاول التأقلم مع محيطه الجديد، وبينما كانت تشعر بشوق كبير لأبيها كانت تعرف أنها ستشتاق للوادي كذلك حين تغادره.

دفعت طبقها من أمامها، بالكاد تصغي إلى ما تقوله مارغريتا.. مغادرة الوادي تعني الابتعاد عن ريموند أيضاً.. وهذا لن يكون أمراً هيناً.

بعد العشاء ذهبت مارغريتا إلى غرفتها لترتاح.. مع أنها كانت تبدو شابة إلا أن فيلومينا قدرت أنها تقارب الستين، وبدت خطوط تعب على وجهها وهي تغادر غرفة الطعام. وخرجت فيلومينا إلى الخارج تتمشى في الفناء تتطلع من السور إلى البحيرة في الأسفل.. كانت مسرورة لفرصة التفكير بما حدث ذلك الصباح، وتساءلت ما الذي عرفه بيدرو، وجعله يقتنع بأن الدخان كان هناك لأسباب معقولة. تذكرت العربات الضخمة، وتساءلت كيف يمكن أن تصل إلى القرية، ثم بعد القرية، ماذا؟ مهما كانت طبيعة ما ينقبون عنه فهم يحتاجون إلى مخرج، ولن تصدق أن هذا المخرج قد يكون

جواً.. وبدا من الواضح أن هناك طريق.. مع أن بيدرو نفى وجوده.

تنهدت.. كم ستبقى هنا؟ وأين هم بقية الركاب؟

انضم الأب راؤول إليهما وقت العشاء.. ومع أن فيلومينا استكشفت القليل من الوادي، إلا أنها كانت تعرف أنه كبير.. والأمر هكذا فمن الممكن أن يكون عدد السكان كبيراً.. لكن حين حاولت سؤال الأب راؤول، صرف نظرها بنجاح عن الموضوع. وأحست بإحباط، إنها بالنسبة له ولزوجة أخيه مجرد دخيلة يجب التخلص منها في أول فرصة ممكنة.

فيما بعد، وبعد تناول القهوة في الصالون، اعتذرت وصعدت إلى غرفتها.. قبل أن تخلع ملابسها جلست قرب النافذة تنظر إلى الخارج بحزن.. كل شيء جميل جداً.. فلماذا لا تستطيع أن تتقبل هذا كما هو دون إجهاد تفكيرها في محاولة إيجاد حلول لمشاكل لا حلول لها؟

شاهدت الأنوار البعيدة التي رأتها في الليلة السابقة.. وخطرت ببالها فكرة.. هذه الأنوار هي في الاتجاه عينه الذي كان يتصاعد الدخان منه هذا الصباح.. من مكانها المرتفع هنا كان من الممكن الرؤية إلى مسافة أبعد بكثير.. أسندت مرفقيها إلى إطار النافذة وأمسكت ذقنها بين يديها.. من يمكن أن يكون هناك ولا يعلم بيدرو بأمره؟ إلا إذا..

فجأة خفق قلبها باهتياج. أمن الممكن أن ما تراه هي أنوار الهاسيندا، ويستخدمها الآن بقية ركاب الطائرة؟ هذا معقول..

أحست فيلومينا بابتسامة مترددة تقلب شفتيها. بطريقة ما، لم يبدُ لها أن الأمور سيئة كثيراً لو أنهم فعلاً هناك.. صحيح أنها لن تستطيع مساعدتهم أو يستطيعون مساعدتها، لكن على الأقل هم هناك، وفي وضع صعب مثل وضعها تماماً.

* * *



## ٨ ـ سأقتلك لو...

قضت فيلومينا ليلة سيئة.. تقلبت كثيراً على جنبيها في السرير، وعبثاً حاولت إراحة جسدها الذي كان يؤلمها من إجهاد لم تعتد عليه في ذلك الصباح، وشاهدت نور الفجر الشاحب يزحف فوق الجبال قبل أن تسقط فريسة نوم عميق بلا أحلام.

استيقظت بعد ذلك على قرع الباب.. فتحت عينيها على مضض، تنظر إلى ساعتها الموضوعة على الطاولة قرب السرير بعينين مطبقتين.. كانت الساعة حوالي الحادية عشرة، جلست مستقيمة برعب تنظر إلى الساعة غير مصدقة.. ثم مع عودة القرع على الباب نادت: من الطارق؟

ـ رائشو سنيورينا.. سنيورا مارغريتا طلبت مني أن أوقظك.. سنيور ريموند هنا.

ريموند؟ هنا؟

نزلت بسرعة من السرير منادية:

ـ حسن جداً رائشو.. شكراً لك.. لن أتأخر كثيراً.

كان ريموند وأمه في الصالون، وسمعت همهمتهما المنخفضة وهي تقطع الردهة.. خفق قلبها بشدة وهي تفتح الباب.. كان ريموند يقف قرب المدفأة وسيكاره بين أسنانه، يرتدي بنطالاً كحلياً وقميصاً.. وبدا جذاباً، لكن كانت على وجهه نظرة اكتئاب وهو ينظر عبر النوافذ العريضة ساهماً.

ما إن أحس بوجودها، حتى استدار ينظر إليها مباشرة يتفرس بمظهرها بطريقة تكاد تكون مهينة. علا اللون الزهري خديها وهو ينظر إليها مقيماً. وهي تشيح بنظرها عنه، لحظت تقطيب حاجبي أمه بعدم رضى ظاهر.. ربما لا تحب أن ينظر ابنها إلى أية امرأة كما كان ينظر إليها.. أو ربما أحست أن ما بينهما أكثر بكثير مما جعلها تصدق.

قالت مارغريتا لتكسر الصمت:

ـ لقد تأخرت في النوم كثيراً هذا الصباح سنيوريتا!

ـ غططت في النوم.. مرت بي ليلة قلقة!

سأل ريموند بخشونة: ولماذا؟

ضمت فيلومينا شفتيها: أيعلم ما حدث في اليوم السابق؟ لا يمكنها أن تكون متأكدة.. هكذا هزت كتفيها ولم ترد.

أشارت مارغريتا بأن تأتي فيلومينا لتجلس معها على أريكة منخفضة قرب النافذة، فأطاعت.. قالت العجوز:

ـ كنت أخبر ريموند عن نزهتك غير المتوقعة بالأمس.

أجفلت فيلومينا:

ـ أوه.. صحيح؟

قال ريموند ببطء:

ـ أجل.. لا شك أن استمتعت بالركوب وستعاودين الكرة في وقت قريب.

عضت شفتها، وردت بحذر:

ـ أعتقد أن هذا أفضل ما أفعله.. أليس كذلك؟

هز رأسه:

ـ أنا اعتبر بيدرو مبكراً قليلاً في دعوته.

لم ترد.. هذا الحديث لا يعجبها.. ولديها انطباع خفي بأن ريموند يعرف تماماً ما حدث لكنه كان يلاعبها لعبة القط والفأر



ليكتشف ماذا ستقول بالضبط.. بكل تأكيد لن يوبخ بيدرو أكثر، فالصبي تصرف بنية طيبة.

حين لم ترد، قالت مارغريتا:

ـ كم ستمكث هنا ريموند؟

ـ لست مستعجلاً! كل خططنا تجري وفق ما هو مرسوم لها.. إطارات الطائرة يكاد ينتهي إصلاحها.. مراقبونا يقدمون لنا التقارير من «كويرانوفا» ولم يبق سوى وقت قصير قبل حدوث المشاكل.. وأنا أمنح نفسي بضع ساعات من الراحة.

أصغت فيلومينا بانتباه للحديث، ولاحظ ريموند اهتمامها.. فارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه:

ـ هل أنت متشوقة للخلاص فيلومينا؟ هل أشاعت إخباري بنفسك الغبطة بأنك ستكونين عما قريب بين أهلك؟

أحنت فيلومينا رأسها، وسألت بهدوء: صحيح؟

قست لهجته: طبعاً!

رفعت رأسها لتقول بلهفة:

ـ أنت لا تفكر أبداً بالفشل.. أليس كذلك؟

ضاقت عيناه:

ـ لا.. لن يكون هناك أي فشل.. سنربح فلا تخافي.. الناس في مونتي راڤيردي مضطهدون منذ فترة طويلة..

تقدم إلى النافذة ينظر إلى الجبل:

ـ والدي كان الرئيس يوماً سنيوريتا.. وحكم بالقوة لكنه لطّف تلك القوة بالشفقة.

نظرت فيلومينا إليه بذهول، وسألت بصوت منخفض:

ـ لكن والدك مات؟

صاح:

ـ لقد اغتيل..! أطلقت عليه النار في مؤخرة رأسه على يد قاتل

مأجور يعمل لحساب سواريز!

كبتت فيلومينا شهقة الذعر التي أثارتها هذه الأنباء، وقالت بلهفة:

ـ لكن أنت زعيم هؤلاء الناس، تضع نفسك في نفس الموقف تماماً؟ فهل تخاطر بمواجهة الاغتيال أيضاً؟

ردت مارغريتا:

ـ لا! لا.. ريموند ليس الزعيم..! إنه الدماغ المخطط لكل شيء، هذا ما لا أستطيع أن أنكره! لكنه لن يصبح الرئيس أبداً!

وتلاشى صوتها، كانت قوة مشاعرها بادية في خطوط وجهها المشدودة.

استدار ريموند لينظر إلى وجه فيلومينا المصدوم بعينين غاضبتين، وقال متجهماً:

ـ لا تتدخلي في أشياء لا تعرفين عنها شيئاً أبداً! لقد تدخلت كثيراً حتى الآن!

رفعت فيلومينا يدها إلى عنقها، وقالت بارتباك: أنا.. آسفة!

تنفس ريموند بعمق، وتقدم بسرعة إلى جانب أمه، يضع ذراعه القوية حول كتفيها، يهزها بلطف ويتمتم: «مايا مياه.. تعلقت مارغريتا به بشدة، وجهها مرتفع نحوه، عيناها متوسلتان.. وقاد أمه بحنان لم تشهد فيلومينا مثله من قبل من الغرفة وكبتت فيلومينا المشاعر التي دمعت لها عيناها.

حين عاد كان لوحده، وقفت بارتباك، لا تعرف ما تقول أو ماذا تفعل.. وأخذ ينظر إليها بغضب، فدفعت شعرها خلف أذنيها في إيماءة استعداداً للدفاع عن النفس.

بدأت تقول: لو.. عذرتني..

لكنه هز رأسه بنفاد صبر:

ـ لا تذهبي.. أريد أن أكلمك.



ابتلعت ريقها بقوة:

ـ إذا كنت تريد الكلام عن بيدرو وعني..

قاطعها بفتح يديه أمامه:

ـ إذا كنت تعنين تطفلك غير المتوقع على المنجم، انسي الأمر.. إضافة إلى هذا، فهمت أن بيدرو نال أكثر مما كان يتوقع.

أحست بارتياح خفيف:

ـ كان متكدراً جداً.. ومركزه في منزلك مهم أيضاً.

ـ أعرف.. فلا تقلقي.. ليس لدي المزيد لأقوله له.

لوت أصابعها معاً:

ـ هل أنك بخير؟ لم أكن أقصد تكدير أحد!

هز رأسه مجدداً:

ـ تعالي! إنه يوم لطيف ليبقى المرء داخل المنزل.. لقد طلبت من بيدرو تحضير جوادينا.

أحست بقشعريرة تسري في جسدها.. إنه سيأخذها في نزهة.. فهل سيرافقهما بيدرو؟

قالت:

ـ سأحضر سترة صوفية.

ـ سأنتظرك في الفناء.

فتح لها الباب فعبرت منه بسرعة تصعد السلم بلهفة.

حين خرجت إلى الفناء بعد دقائق تضع سترة صوفية برتقالية اللون على كتفيها، كان بيدرو يتحدث إلى ريموند، وإلى جانبهما جوادين فقط، فرسها وجواد ريموند الأسود. استدار إليها مع سماعه وقع خطواتها، وارتسمت على وجهه نظرة غريبة قبل أن يقول:

ـ أنت جاهزة؟ جيد! دعينا نذهب.

ابتسم بيدرو لها وتبادلا غمزة خفية وهي تمر به قبل أن يقفل البابين الثقيلين خلفهما.. في الخارج، على سفح الجبل الصخري،

كان الهواء دافئاً منعشاً، ونظر ريموند إلى الخلف نحوها متسائلاً وهما يبدآن النزول:

ـ هل أنت متوترة؟

هزت فيلومينا رأسها نفياً وقالت مبتسمة:

ـ لم أعد كذلك.. أظن أنني أصبحت متمكنة من الجلوس على ظهر الفرس كما ينبغي.. على الأقل، لم أعد خائفة من الفرس الآن.

ـ قال لي بيدرو إنك تصرفت بشكل رائع أمس.

أحست بسعادة غير مبررة، وتمتمت:

ـ أنا مسرورة لهذا.. مع أنني خفت حين غضب أولئك الرجال.

نظر إليها وهو يفكر:

ـ أجل! كان يمكن لذلك الموقف أن يكون خطيراً.. على أي حال أنت تعرفين نوع المخاطر.. لا شيء يجب أن يقف في طريقنا الآن.

استدارا إلى الطريق بمحاذاة البحيرة مع وصولهما إلى أرض مستوية، للسماح لجواديهما بالجري عبر الممر الحجري.. لم يبتعدا عن شاطىء البحيرة كما فعلت هي وبيدرو في اليوم السابق، بل لحقا حافة الماء إلى أن أصبح هدير الشلال أكثر قوة، ثم رأته عن كثب.. ونزل ريموند عن مطيته ونظر إلى الأعلى، كان يغطي عينيه ليخفف من وهج الشمس الساطعة المنعكسة على صفحة الماء.

نزلت فيلومينا بدورها لتترك «بيلا» تقضم العشب.. أحست برذاذ ماء الشلال المنعش يبرد وجهها، فتطلعت إلى فوق أيضاً لتستمتع بمنظر كتلة الماء المندفعة.

استدار ريموند إليها:

ـ جميل.. أليس كذلك؟



هزت رأسها:

ـ جميل جداً.. الوادي كله جميل.. لست أدري كيف تتحمل أن تتركه.

قطب:

ـ سيبقى دائماً هنا ينتظر عودتي.

جلس القرفصاء عند حافة المياه، يمد يده إليها، ويبرّد مؤخرة عنقه، غير مهتم ببلل قميصه.

راقبته فيلومينا وأحست بوجوده بقوة، وبعزلتهما هنا. بدا لها من غير المعقول أن تكون منذ أيام تقيم في الريو، متأكدة أنها لن تراه مرة أخرى، وها هو الآن وفي أقل من أسبوع أصبح مهماً جداً بالنسبة لها، ومألوفاً جداً. التفكير بما سيواجهه ملأها رعباً، وفكرت أن لهفة أمه وقلقها لا يزيدان عن لهفتها وقلقها، وهي تعرف أنه سيواجه الموت على يد رجال سواريز.

لماذا جاء بها إلى هنا؟ لماذا يزعج نفسه بالمجيء بها حيثما يذهب؟ لا يمكن أن يكون راغباً في صحبتها في وقت يتعمد فيه إجبارها على المجيء إلى منزل أمه البعيد أميالاً عن مقر عمله، في الهاسيندا.

أحست أنه قطع السطح الصخري ليقف خلفها، ينظر إلى الماء من فوق كتفها.. ارتجفت قليلاً لقربه منها، واستدارت تقصد العودة إلى فرسها.. لكنه كان أقرب مما تصورت، يقف أمامها مباشرة.. رفعت نظرها إليه مكرهة لتلتقي عيونهما.. وقال بصوت أجش:

ـ فيلومينا.. سأدخل سلك الكهنوت.. حين ينتهي كل هذا، حين يُعلن عن الرئيس الجديد لمونتي راڤيردي، سأدخل معهد اللاهوت في «قوليتو».

أحست بكل عضلات وجهها تتقلص بألم:

ـ لماذا.. لماذا تقول لي هذا؟

ضاقت عيناه وخبا بريقهما اللماع:

ـ هناك تقليد في عائلتنا.. مع وجود أكثر من ابن واحد، على أحدهم أن يصبح سياسياً، وآخر يجب أن يدخل سلك الكهنوت.. كان الأمر دائماً هكذا.. وسيبقى هناك على الدوام أحد أفراد أسرة مارتينز في الحكومة في مونتي راڤيردي، كما سيبقى هناك دائماً كاهن منهم.

ردت بحدة:

ـ لا أريد أن أعرف.. لا علاقة لي بالأمر!

أشاحت وجهها عنه ومرت قربه لتصل إلى مطبخها.. كانت ترتجف كثيراً، وبينما كانت تمر به مد يده وأمسك بمعصمها.

ـ فيلومينا! إصغي إليّ! يجب أن تصغي إليّ!

نظرت إليه بعينين غشتهما الدموع:

ـ لست مضطرة للإصغاء.. هذا شيء لا يمكنك طلبه مني!

نظر إلى وجهها المتجهم المتقلص باضطراب شديد وقال بحدة:

ـ فيلومينا..! أريد أن أخبرك عن مشاعري.

حاولت انتزاع معصمها من يده ثم صرخت:

ـ دعني أذهب! لا أريد أن أستمع إليك! ما تنوي فعله بحياتك لا يهمني!

شدها إليه بخشونة وسأل:

ـ ألا يهمك؟ أيمكن أن تقولي لي صادقة إن ما أفعله لا يهمك؟

قاومته عاجزة، بآهة خفيفة أحنى رأسه ليضع فمه على شعرها.. كانت تحس بقلبه يخفق بشدة تحت يديها المضغوطتين على صدره.. حين رفع رأسه رأت العذاب في عينيه.. همست وهي ترتجف:

ـ أوه.. ريموند.. ريموند!



وكأنما خضوعها كان كثيراً عليه، فأبعدها عنه فجأة.. يدس يديه في جيبي بنطلونه، ويسير متعمداً إلى حيث ينتظر الجوادين.. أدار ظهره لها وقال بصوت متوتر:

ـ لأمي ولدان فقط.. ابنان.. بعد إنجابهما، قال الأطباء إنها يجب ألاّ تنجب غيرهما! ذهبت إلى الولايات المتحدة، وأجرت جراحة هناك جعلت من حملها مجدداً أمراً مستحيلاً. كان أندرو يومها في السادسة من عمره، وأنا كنت في الثانية عشرة، وأخذتنا معها إلى هناك.. خلال غيابنا اغتيل أبي!

ضغطت قبضتها الشاحبة إلى شفتيها.. وتابع:

ـ كان هذا منذ عشرين سنة تقريباً.. ومنذ ذلك الوقت والديكتاتورية تحكم مونتي راڤيردي.. ولهذا السبب أنا مجبر على تغيير الأمور.

ـ لكنك لن تصبح الرئيس!

أحنى رأسه:

ـ لا.. حين كان أبي حياً، بدأ يدربني كي ألحق بخطواته. في ذلك الوقت كان هذا ما أرغب به.. لكن بعد اغتياله بدأت أمي تعتمد عليّ أكثر فأكثر.. بعد فترة أدركت أنني حتى ولو تمكنت من الإطاحة بسواريز، إلا أنني أبداً لن أقبل أن أكون الرئيس وأن أتحمل نفس المخاطر والمسؤوليات كما فعل أبي.

هزت رأسها تتمتم بخشونة: هذا غير عادل.

نظر إليها بجرأة:

ـ أترغبين أن أحنث بوعدي.. وأكسر قلب أمي؟

فتحت يديها وكأنّها تتوسل:

ـ لا.. لا! بالطبع لا.. لكن.. لكن.. الكنيسة!

ـ قلت لك.. إنها التقاليد.

أحست بالغضب:

ـ التقاليد هي للعجائز.. وليست للشبان.. أمامك حياتك كلها.. كيف يمكنك التفكير بتلقي الأوامر وأنت لا تريدها حقاً؟

ـ هذا واجب عليّ.. لا يوجد أحد غيري.

نظرت إليه تحس بالسقم لحرارة مشاعرها:

ـ وأندرو؟ أين هو موقعه من كل هذا؟

حرك كتفيه بنفاذ صبر:

ـ لدى أندرو مشاكله الخاصة.

ـ مع ذلك هو من ورطني بهذا.. لماذا؟

تنهد:

ـ أندرو يخاف من المسؤولية.. يخاف أن يصبح الرمز الرئيسي.

ـ لا أفهم.

ـ لست بحاجة لأن تفهمي.

ضبطت أعصابها بصعوبة:

ـ أوه.. ريموند! توقف عن معاملتي كطفلة! أنا امرأة.. وأعرف أن ما تفعله خطأ!

ـ لكنه المناسب لي!

أرجعت شعرها وراء أذنيها لتقول بصعوبة:

ـ لا ريموند.. إن هذا خطأ! يبدو أنك تعيش في الماضي.. أيجب أن تحرم نفسك من الحياة الطبيعية لمجرد أن أمك لا تستطيع رؤيتك رئيساً؟ لماذا تضحي بنفسك هكذا؟ لأجل التقاليد؟ أم لأنك لا تستطيع مواجهة الحياة كما هي حقاً؟

تقدم نحوها خطوة.

ـ يا إلهي فيلومينا.. أليس في قلبك شفقة؟

أخذ صدرها يعلو ويهبط بسرعة:

ـ أنا من البشر ريموند! مخلوقة من لحم ودم! أحب وأكره!



الآن أنا أكرهك كثيراً!

تلاشى صوتها في شهقة بكاء، فمسحت دموعها عن وجهها بحركة دفاعية، واستدارت لتهرب منه.. لم يكن لديها فكرة إلى أين تذهب وماذا ستفعل.. كل ما تعرفه أنها يجب أن تضع بينها وبينه قدر ما تستطيع من مسافة.

وصلت إلى الممر.. وتسارعت قدماها على سطحه الوعر، غير مكترثة بالأغصان التي كانت تعلق بشعرها.. وكانت سيقان النباتات والأشواك تخدش وتؤلم ذراعيها ووجهها.

سمعت ريموند يصيح باسمها بغضب ونفاد صبر، لكنها أصمّت أذنيها لنداءاته.. تمنت لو يركب جواده ويتركها وحيدة لتبحث عن طريق العودة.. فلربما تمكنت من استبقاء شيء من كبريائها.

سمعت صوت حوافر جواده يلحق بها، فتوقفت في مكان تنظر خلفها، تشهق بيأس لتتنفس.. كان يجب أن تعرف أنه لن يزعج نفسه بملاحقتها على قدميه، في وقت يستطيع فيه أن يمسك بها هكذا بسهولة.

نظرت حولها بيأس، تبحث عن مكان تختبىء فيه. كانت الأشجار لا تزال تخفيها عن نظره، ولو تركت الطريق لن يتمكن من اللحاق بها على ظهر الجواد.. اندفعت عبر العشب المرتفع إلى جانب الطريق، تتعثر فوق جذوع أشجار متساقطة أو أشجار ميتة نمت بفعل برطوبة الغابة.. كانت هناك برودة في الجو، نفذت عبر بلوزتها السميكة، لقد أضاعت السترة الصوفية التي كانت قد رمتها فوق كتفيها قبل مغادرتها الفيلا، في مكان ما خلال هربها.. وكانت هناك رائحة كريهة كذلك، رطوبة وعفن.. وامتلأت نفسها برغبة ملحة في أن تستدير وتعود إلى الطريق الآمنة.

سمعت من خلفها صوت حوافر الجواد الأسود تهدر فوق

الطريق.. فوقفت جامدة دون حراك، تصغي بتركيز إلى الصوت المتلاشي بعد مروره بها. انتظرت عدة لحظات قبل أن تتابع طريقها.. نصف خائفة من أن يسمع صوت تكسر الأغصان اليابسة تحت قدميها، أو حفيف العشب وهي تشق طريقها من خلاله.

لكن الصمت بالتدريج أصبح يصمّ الآذان.. وهي تبعد الخوف الذي يتلوى داخلها كالأفعى.. أكملت شق طريقها.

توقفت مترددة.. تنظر يمنة ويسرة.. عتمة الغابة كانت تزداد بالتفاف الأغصان فوق رأسها.. فجأة تملكتها رغبة في الهرب من هذا العالم الغريب البدائي الذي كان يغلقها..

تصاعدت الهستيريا إلى حلقها.. فاستدارت تندفع عائدة من حيث أتت.. لكن النباتات كانت كثيفة جداً لا يمكن اختراقها، بحيث كان من المستحيل أن تعرف من أي طريق أتت.. وارتفع النشيج إلى شفتيها بشهقة حادة وهي تدرك أنها ضلّت طريقها.

توقفت تنظر حولها بتصميم.. لو أنها بقيت هادئة، فليس هناك من سبب يمنع أن لا تجد طريق الخروج من هنا. هكذا بدأت السير بثبات إلى الأمام، لا تنظر إلى أية وجهة أخرى، تتعمد أن تبقي خط سيرها مستقيماً.. في وقت كانت ساقاها قد بدأتا تؤلمانها، وكان جسدها كله متعباً متألماً يكاد ينهار تعباً، خرجت من الغابة عند ضفة ساقية ضيقة.

غاصت بضعف على الضفة المعشوشبة، تغمس يدها في الماء لتمسح وجهها وعنقها.. ثم وقفت مجدداً تفكر أي اتجاه تسلك.. نظرت إلى الخلف نحو الغابة وارتجفت.. لن ترغب أن تعود إلى عمقها مجدداً.

سارت نحو مرتفع عشبي تتفحص المنطقة كلها ويدها تظلل عينيها.. ثم، لدهشتها وسرورها، رأت بعض البيوت من بعيد.. قطعاً هي مسكونة، فالدخان كان يرتفع من مداخنها.. وبمعنويات



عالية، تساءلت ما إذا كانت ستلتقي بركاب الطائرة مجدداً.

كانت تسير تارة وتركض تارة أخرى، هبطت المرتفع ناسية تعبها في ثورة اكتشافها.. لكن مع اقترابها من البيوت، سمعت صوتاً ورائها جعلها تنظر إلى خلف بإحباط وخوف. لتجد الجواد الأسود يجري خلفها، وفرسها ممسوكة اللجام بيد سيدها، يلحق بها بسهولة في المرج.

غاصت فوق العشب، ترفع ذراعاً دفاعية مع اقتراب ريموند منها، وقفز بسرعة عن سرجه.. جثا على ركبتيه إلى جانبها، ورأت عدة أشخاص يخرجون من المنازل ويتجمعون يراقبونهما.. إنهم ركاب الطائرة.. لكن لا مجال الآن كي تتكلم معهم.. أحست بأصابع ريموند القوية تغوص في كتفيها، ووجهه المتوتر ينظر إليها بمرارة.

ـ ديوس فيلومينا.. سأقتلك لو فعلت هذا بي مرة أخرى!

رماها إلى الخلف فوق العشب يعانقها، وعرفت أن عليها المقاومة، لكنها كانت متعبة. وكان ريموند مضطرباً كذلك لا يسيطر على نفسه.. وسمعته يتمتم بلغته وهو يشدها إليه.

ثم بدا فجأة وكأنه عاد إلى رشده، وبحركة عنيفة ابتعد عنها، وجلس يرتجف ويمرر يديه في شعره.. ونظر إليها بحزن، ثم قال:

ـ ديوس فيلومينا! لا تنظري إليّ هكذا.. وإلا لن أكون مسؤولاً عن تصرفاتي.. بوجود المتفرجين علينا أو دونهم!

سيطر عليها شعور أحسته كموجة ماء باردة اجتاحتها لكلماته.. وجلست مستقيمة تملس شعرها بحركات متوترة.. كان هناك رجلان يبعدان الناس من المنازل المجاورة، لكنهم كانوا يتكلمون بين بعضهم.. نظرت فيلومينا إلى ريموند بعينين ملؤهما العذاب، وشهقت برعب:

ـ ألهذا.. ألهذا السبب.. عانقتني؟

وقف على قدميه، يمسح العشب والتراب عن بنطاله، ينظر إليها بازدراء، ثم قال ببرود يمد يداً ليساعدها:

- إذا كنت تظنين هذا.. تعالي! يجب أن نعود.. مارغريتا ستقلق!

جذبت يدها منه ونظرت بلهفة إلى المنازل.. كان هناك بضعة أشخاص الآن.. وتنهدت.. لاحظ ريموند التهائها فنظر إليها متجهماً وقال بمرارة:

- إذا كان هذا يعني الكثير لك، فاذهبي إليهم.

نظرت إليه من خلال عينين مملوءتين بالدموع، وردت بحدة:

- إذا كنت تعتقد هذا فأنت مغفل!

ثم مرت بقربه تصعد المرتفع إلى حيث كانت فرسها ترعى بهدوء.

* * *



## ٩ ـ طريق واحد للهروب

ركعت فيلومينا فوق الأريكة قرب نافذة الصالون، تراقب حبات المطر الضخمة التي تضرب الزجاج برتابة وإصرار.. تكاد العاصفة تنتهي الآن، مع ذلك كان المطر مستمراً في هطوله يخفي الوادي وراء غلالة كثيفة من الضباب.. كان الوقت متأخراً، وعما قريب يخيم الظلام مجدداً.

استدارت متنهدة فوق ساقيها الملتفين تحتها. تتلمس تنورتها فوق ساقيها النحيلين.. مع أنه لا يوجد أحد قد يهتم بأن تغطي نفسها باحتشام، لا أحد سوى مارغريتا مارتينز.. وهي لا تزال نائمة نرتاح.

بلهفة غير معتادة أخذت سيكارة من علبة على طاولة صغيرة قربها.. نادراً ما كانت تدخن لكنها الآن تحس بأنها تحتاج إلى شيء يقويها على مواجهة الأمسية التي تنتظرها.. فرحيل ريموند المفاجيء بعد الغداء أثار الكثير من خيبة الأمل في نفس أمه، وكانت فيلومينا متأكدة تماماً أن مارغريتا تلومها لهذا التغيير..

حاولت فيلومينا أن تسترخي، وطوت ذراعيها فوق رأسها باستسلام.. لم تكن قادرة على صرف ما حدث من رأسها. لقد استعادت ذكرى تلك اللحظات التي فقد ريموند فيها السيطرة على نفسه مرات ومرات.. وهي تكبح تنهيدة، أحست أنها لم تعد لوحدها، فقد كانت مارغريتا تقف في الباب المفتوح تراقبها،



www.rewity.com بلا عنوان

وارتسم تعبير غريب على وجهها الأسمر . . فهل جاءت بها إلى باب الصالون قوى خارقة في الوقت المناسب لترى نظرة الشوق في عيني فيلومينا؟

قالت فيلومينا بشيء من التوتر :

ـ أوه . . مرحباً! هل تمتعت بقيلولتك؟

دخلت مارغريتا الغرفة على مهل، تنظر عبر النافذة إلى المطر، وقالت كأنما تحدث نفسها :

ـ من الجيد أن ريموند غادر مبكراً . . الممر الجبلي ممكن أن يكون خطراً في مثل هذا الطقس .

أطفأت فيلومينا سيكارتها بحدة :

ـ أجل . . لم أشاهد من قبل مثل هذه العاصفة .

هزت مارغريتا كتفيها، وتقدمت إلى المقعد قرب النار، وقالت معلقة :

ـ لقد مرت بنا عواصف أسوأ من هذه بكثير . . في الجبال يعتاد المرء على عنف الطبيعة .

ابتسمت فيلومينا موافقة، تتمنى لو يحدث شيء يبعد اهتمام مارغريتا عنها . . وقالت :

ـ هل . . كانت إقامتك دائماً هنا؟ أعني . . منذ . . منذ . . منذ . .

ـ منذ اغتيال زوجي، تعنين؟ أجل . . أعتقد أن بإمكانك القول إن هذا كان منزلي معظم أيام زواجي . . على أي حال هذا الوادي ملك لعائلة مارتينز منذ أجيال . . وهو الذي يوفر لهم القوة، وهو ملاذهم في الأوقات الصعبة .

تنهدت، ثم أكملت :

ـ لكن بعد أن أصبح ماركوس رئيساً عاش في «مورادو» . . وهذا كان اسم العاصمة قبل أن يصمها سواريز بشخصيته .

سألت بجرأة :



ـ كيف توصل زوجك لأن يكون رئيساً سنيورا؟

رفعت عينين حذرتين إلى فيلومينا :

ـ لطالما كان هناك أفراد من أسرة مارتينز في حكومة مونتي ريناردي . كان والد كارلوس وزير خارجية للرئيس السابق . . حين مات كان والد كارلوس أكبر سناً من أن يتقبل المسؤولية التي كانوا يرمونها على عاتقه . . فحل كارلوس مكانه .

قطبت فيلومينا :

ـ فهمت . . لكن هل أراد زوجك أن يصبح رئيساً؟

هزت مارغريتا كتفيها، وردت دون تعابير :

ـ كان هذا واجبه .

تقدمت فيلومينا إلى النافذة، ونظرت إلى التلال التي بللها المطر، وسألت :

ـ ألا تعتقدين أن هذا واجب ريموند أيضاً؟

ضاقت عينا مارغريتا :

ـ سيدخل ريموند مدرسة اللاهوت في «فوليتو» . واجبه في هذا الاتجاه .

ـ ومن يقرر في أي اتجاه هو واجبه؟

تصلبت مارغريتا :

ـ سأتظاهر أنني لم أسمع هذا السؤال سنيوريتا . . لكن كوني مطمئنة . . ريموند ليس لك ولن يكون لأية امرأة!

نظرت فيلومينا إليها وكلها أسى للضغينة في صوتها :

ـ تقولين هذا وكأنك . . كأنك تكرهينه!

رفعت مارغريتا حاجبيها :

ـ أنا؟ أكره ريموند؟ أوه . . لا . . أنا أحبه سنيوريتا . . وهو يحبني . . إنه ابني البكر، ابني الحبيب!

تسارعت أفكار فيلومينا :

ـ لكن، ألا ترين سنيورا، أنك تخلطين بين الأمور! تملكك هو الذي يدفع ريموند إلى مدرسة اللاهوت وليس الواجب! تستخدمين طريقة موت أبيه لدفعه إلى شيء مغاير لطبيعته!

لمعت عينا مارغريتا ببرود:

ـ ماذا تعرفين عن هذا؟ عن موت والده؟ لا شيء! لا أحد يعرف سواي!

ارتعدت فيلومينا، كما يرتعد الأرنب رهبةً أمام الأفعى!

ـ ماذا تعنين؟

مالت مارغريتا إلى الأمام:

ـ سأقول لك شيئاً سنيوريتا! شيء لم أقله لأحد من قبل.. لكنك لن تتمكني من استخدامه ضدي لأن أحداً لن يصدقك.. الرجل الوحيد الذي يعرف هذا السر مات الآن، وأنا لن أدمّر ذكرى زوجي.

ـ ماذا تعنين؟

ـ لقد سمعت، لا شك، أن زوجي اغتيل وأنا في الولايات المتحدة أجري جراحة؟ وهذا صحيح. لكن ما لم يذع هو واقع أن زوجي قتل وهو بين ذراعي امرأة أخرى!

نظرت فيلومينا إليها غير مصدقة، كان وجه مارغريتا ملتوياً بالمرارة، وبدت أكبر مما رأتها فيلومينا يوماً.. قالت باكتئاب:

ـ أرأيت سنيوريتا.. لقد عشت عشرين سنة أحمي ذكرى رجل لم يكن مخلصاً لي أبداً.. أوه، ربما كانت أسبابي منذ البداية هي احترام الذات، لكن مع مرور السنين أصبح خلالها ماركوس أسطورة في مونتي رافيردي، عرفت أنني لن أستطيع فضح سره.

صدمت فيلومينا:

ـ أنت إذن تحاولين الانتقام من ابنه!

ـ لا..! لا! ريموند ليس مثل أبيه.. إنه مثلي، قوي



ومخلص.. أندرو هو ابن أبيه!

ابتلعت فيلومينا ريقها بقسوة:

ـ مع ذلك تنكرين عليه أن يعيش حياة طبيعية! لماذا هو وليس أندرو؟

ـ أندرو لا يتحمل مسؤولية.. لا يهتم سوى بنفسه.

أحست فيلومينا أن عليها أن تبتعد.. أحست بالغثيان كراهية لهذه المرأة التي تستخدم ابنها لمآربها.. وسألت وهي تتحرك نحو الباب:

ـ أليست هناك خطط لديك لأندرو؟

ـ أندرو يضع خططه بنفسه. إنه جبان سنيوريتا.. وأنا لا وقت لدي للجبناء!

ـ هل تخبرينني شيئاً واحداً بعد؟

ـ هذا يتوقف على نوع السؤال.

ـ لماذا بالضبط أراد أندرو أن أكون على تلك الطائرة بالذات؟ وما جدوى المجيء بي إلى هنا؟

رفعت مارغريتا كتفيها:

ـ الأمر بسيط جداً.. لو دخل ريموند سلك الكهنوت، سيفقد هويته وسيصبح أندرو آخر فرد من عائلة مارتينز.. وهو يخاف على نفسه سنيوريتا.. يخاف لو فشلت الثورة أن تتعرض حياته للخطر!

ـ لكن لماذا أنا؟

ـ ريموند لا يهتم بالنساء.. لكن لسبب ما عرف أندرو أنه يجدك.. جذابة.. وهذا كان كافياً لمثل هذه المقامرة الصغيرة.. يحتاجون إلى الطائرة، وأنت مكسب إضافي.. هذا كل شيء.

ـ لا أستطيع تصديق هذا.

ـ مع ذلك فهي الحقيقة! ولحسن الحظ، لم يكن أندرو مدركاً كم هي قوة شخصية ريموند، وإلا لكان استخدم شيئاً أكثر إثباطاً

للعزيمة.. مع أنه لن يستطيع فعل شيء لا يمكننا مواجهته.

مر اليومان التاليان بتثاقل بطيء يدعو إلى السأم، ولم يعد ريموند إلى الڤيلا. وأمضت فيلومينا وقتها تقاوم الاكتئاب الذي كان يحاول السيطرة عليها..

جاء أندرو مرة إلى الڤيلا، لكن مع أن فيلومينا التقت به، إلا أن أمه كانت موجودة، ولم يُظهر أية جرأة، بل بالعكس بدا مكبوتاً تحت سيطرة أمه.

بيدرو كان الشخص الوحيد الذي تستطيع فيلومينا أن تتحدث إليه فعلاً.. مع أن نزهاتهما منعت إلا أنهما كانا يلتقيان في الفناء. في البداية كانت تمتنع عن ذكر اسم ريموند، لكن مع تعارفهما أكثر، قالت:

ـ قل شيئاً بيدرو ـ ماالذي يجري بالتنقيب عنه في الوادي؟ ما الذي يعطي عائلة مارتينز قوتها؟ ثرائها؟

بدت الحيرة على وجه بيدرو:

ـ لا أستطيع أن أقول لك هذا سنيوريتا.. لست في مركز لأقول لك.. يجب أن تسألي أوهالتشاو! أو السنيورا مارغريتا!

أسندت نفسها إلى الجدار:

ـ وهل تظن أنهما سيقولان لي؟ لا بد أنك تعرف ما هو رأي السنيورا بي!

أحنى رأسه، ثم قال:

ـ السنيورا امرأة متكبرة.. وربما تكون الكبرياء خطيئة، لست أدري! لكنني أعرف أنها لا ترى الأمور مثلما يراها الآخرون.

ـ كانت يوماً السيدة الأولى في مونتي رافيردي.. ألم تكن؟

ـ أوه بلى سنيوريتا.. وكانت تحب هذا. قالت لي أمي إنها كانت فاتنة جداً..!

ـ وزوجها؟ الرئيس؟ ما كان شكله؟



ـ تقول أمي إنه رجل لطيف.. ولا تظنه كان يحب مركزه كرئيس لكن هذا كان متوقعاً منه، ولم تسمح له السنيورا أن يتهرب من واجبه.

رفعت رأسها قليلاً، وتمتمت كأنما تحدث نفسها:

ـ لكنه بالتأكيد كان قادراً على التهرب منها.

هز بيدرو كتفيه:

ـ ربما.. من يدري! لكن كان هناك ضغط كبير عليه ليقبل. كان والده رجل يحتضر، وإلا لأخذ السلطة لنفسه.. إضافة إلى هذا فالسنيور كارلوس كان من أسرة مارتينز، وأفراد عائلة مارتينز لا يتخلون عن واجبهم.

تنهدت فيلومينا وقالت ببطء:

ـ لا! ماذا فعلت السنيورا بعد الاغتيال؟

ـ عادت إلى هنا.

ـ هل كانت.. متكدرة؟

رفع حاجباه الأسودان:

ـ من المفترض هذا، كما أعتقد.. أمي تقول إنها لم تكن تتكلم كثيراً عن الأمر في ذلك الوقت.. لكن كان هناك شائعات..

ـ أي نوع من الشائعات؟

كوّر شفتيه:

ـ حسن! قيل إن زوجها الرئيس كان مع امرأة أخرى حين قتل.. أوه.. لم يثبت هذا أبداً، وتلاشت الشائعات.. لكنني أحياناً أتساءل!

تنهد وصمت قليلاً، ثم أكمل:

ـ على أي حال، بعد وقت قصير، قرر السنيور ريموند أن ينتقم لمقتل أبيه، وأن يدمر الديكتاتور.

ـ لكنه كان مجرد طفل يومها.

ـ أعرف، لكن حين يُقتل والد طفل، يجب أن يصبح رجلاً.

أصغت فيلومينا بذهول.. وتنهد بيدرو:

ـ سأكون حزيناً حين ترحلين سنيوريتا.. لقد تمتعت بصحبتك والتحدث إليك.

ـ وأنا كذلك بيدرو! لكن لا مكان لي هنا.

ـ وماذا سيفعل السنيور ريموند بعد رحيلك؟

هزت رأسها:

ـ لا شك أنك تعرف أن السنيور ريموند سيدخل مدرسة اللاهوت في «فوليتو» حين ينتهي كل هذا؟

أرجع بيدرو شعره إلى الوراء دون اكتراث وأعلن بحرارة:

ـ لكن السنيور ريموند ليس من هذا النوع من الرجال!

ـ أي نوع من الرجال بيدرو؟

ـ تعرفين! ألم أرى..

وصمت.. فنظرت إليه بحدة:

ـ أجل بيدرو؟ ماذا رأيت؟

احمرت وجنتاه:

ـ أوه.. لا شيء سنيوريتا.

ـ بيدرو!

تنهد:

ـ أوه.. حسناً.. ذلك الصباح عندما خرجت في نزهة مع السنيور.. لحقت بكما.

ـ لحقت بنا؟

ـ نعم سنيوريتا.

ـ لكن لماذا؟

هز رأسه:

ـ لست أدري! أردت هذا فقط.. أردت أن أحميك.. لم أكن



أعرف أنك.. على أي حال بقيت بعيداً جداً وكاد ينفضح أمري حين هربت في الغابة.

ـ كنت تختبيء في الغابة؟

ـ نعم.. سنيوريتا!

ـ إذن.. رأيت.. رأيت..

ـ نعم سنيوريتا.

هزت رأسها عاجزة:

ـ لا أعرف ماذا أقول!

بدا على وجهه الخجل:

ـ أنا آسف سنيوريتا، لم أكن أقصد التجسس عليكما!

تنهدت فيلومينا:

ـ لا.. أعرف هذا.. لا بأس عليك بيدرو.. أنا مسرورة لأنك عرفت.. فهذا يريحني.

ـ وهل تعرف السنيورا مارغريتا؟

ـ لا تعرف كل شيء.. لكن بما يكفي.

ـ لن يعجبها هذا.

ـ أعرف!

هز بيدرو رأسه:

ـ السنيور ريموند رجل طيب.. وسيكون رائعاً في منصب الرئيس.. الناس يعرفون هذا ويحبونه.. إنه يشبه أباه كثيراً!

التفتت إليه بلهفة: أتظن هذا؟

ـ أوه أجل سنيوريتا، لقد سمعت هذا يقال، وأنا أعرف.. السنيورا امرأة باردة لا مشاعر لها! إنها تصمم على تنفيذ مشيئتها مهما كان الثمن.

أحست فيلومينا بالدموع تلسع عينيها:

ـ هذا.. غير إنساني!



www.rewity.com بلا عنوان

ـ يجب أن يقول أحدهم الحقيقة للسنيور!

هزت رأسها:

ـ أوه.. لا..! يجب أن يتخذ قراره بنفسه.. والآن يجب أن أدخل قبل أن يشك أحد بلقائنا.

ابتسم ببذرو لها، ودخلت فيلومينا إلى الصالون مسرورة لأن لها صديقاً في ڤيلا كاليرهاو.

تلك الليلة استيقظت على شخص يهزها بعنف، وكانت على وشك أن تصرخ لولا أنه وضع يده على فمها وقال بصوت أجش:

ـ لا تخافي سنيوريتا.

عرفت الصوت بطريقة غامضة.. لكن من أين؟

قاومت لتحرر نفسها، فدس الرجل يده في جيبه وأخرج مشعلاً استخدمه ليكشف عن هويته.. وحدقت فيلومينا به صامتة، إنه الطيار!

ـ ماذا.. ماذا تفعل هنا؟ كيف وصلت إلى هنا؟

هز رأسه بنفاد صبر:

ـ لا تهتمي بهذا الآن، سأشرح لك فيما بعد، ألا يمكنك ارتداء بعض الملابس بسرعة؟ نحن راحلون!

ـ راحلون.. لكن كيف.

ـ ليس الآن سنيوريتا، ارتدي ملابسك، لا نستطيع أخذ متاعنا.. لكن بالإمكان طلبها فيما بعد.. أسرعي!

في الظلمة، كان من السهل أن تخلع ملابس النوم وترتدي بنطلوناً، وكنزة واسعة فوقه. حين أصبحت جاهزة، نظرت لآخر مرة إلى الغرفة ثم رفعت حقيبة يدها، ولامست ذراع الطيار قائلة:

ـ أنا جاهزة.. ماذا الآن؟

ـ الحقي بي.. كل شيء آمن.. الجميع ينام.

نزلا السلم إلى الردهة وهما يستخدمان فقط مشعل الطيار



للإرشاد، قطعا الفناء الخارجي بسرعة، ثم مرا عبر الباب، انتظرت فيلومينا لحظة بينما أغلقه رفيقها وراءه.

بدأ النزول في الطريق الملتوية.. كانت رحلة طويلة شاقة.. تعثرت مرتين، وساعدها الطيار بوجه لا يخلو من الصرامة، وحثته مرتين كي يسبقها، لا تريد أن تؤخر تقدم البقية.. ونظرت إلى رفيقها بذهول تتساءل كيف استطاع لوحده تدبير أمر كهذا.

لكن لم يكن الوقت يسمح بالشرح، ولحقت به إلى شاحنات ضخمة تنتظر قرب البحيرة، تنظر بفضول إلى السائق.. لدهشتها رأت أحد الرجال الذين رأتهم على الطائرة مع بروسبيرو ورافاييل.. فنظرت إلى الطيار:

ـ ما هذا؟ هذا الرجل أحد أتباع أوهالتشاو!

ـ أعرف.. تعالي.. اصعدي في الخلف. ليس لدينا وقت نضيعه!

أدار السائق المحرك قائلاً:

ـ يجب أن تثقي بنا سنيوريتا.. اصعدي.

أمسك الطيار بذراعها وجرها إلى مؤخرة العربة وامتدت أيد كثيرة لتساعدها.. في العتمة استطاعت التعرف إلى بعض الركاب، لكنها كانت منزعجة جداً لسماعها ما كان يقال لها.. كان كيانها يشتعل برغبة في الخلاص منهم، كما كانت ترغب يوماً في الخلاص من ريموند.

تحركت الشاحنة تقفز في طريقها على الطريق الحجرية، حتى أن الركاب أخذوا يتطوحون بمنة ويسرة دونما توقف.. وتمسكت فيلومينا بمقعدها، متمنية لو أنها لم تغادر غرفة نومها الآمنة في الڤيلا.

جاء الطيار وجلس إلى جانبها، وقال لها:

ـ لا تخافي سنيوريتا! هؤلاء الرجال يتحركون بناء لأوامر

أوهالتشاو!

ـ ماذا؟

ـ هذا صحيح! إنه يتركنا نرحل.. في الغد سيستيقظ الدكتاتور سواريز ليرى أن جيشه أصبح تحت سيطرة قوى الثورة والتحرر!

ـ غداً؟

ـ نعم سنيوريتا! غداً ستغلق الحدود، لذلك سمح لنا بالسفر الليلة حيث تتوفر الفرصة. سنعبر الحدود إلى بوليڤيا ونتصل بالسلطات هناك.. ألديك جواز سفرك؟

ـ أجل.. أجل.. إنه معي.. ابقيه دائماً في حقيبة يدي!

ـ حسناً! ستدبر لنا السلطات أمر سفرنا إلى ريو دو جانيرو من لاباز.. ولا شك أننا سنتصل بأقاربك من هناك.

ـ لكن.. كيف سنغادر الوادي؟

ابتسم الطيار:

ـ هناك ممر تحت الجبل سنيوريتا.. مدخله من المنجم.

أجفلت:

ـ المنجم؟

ـ نعم! إنه تمويه ذكي.. أليس كذلك؟ منجم القضة استهلك منذ زمن بعيد! وهو يستخدم الآن فقط لتأمين طريق خفية من الوادي وإليه.

تنهدت فيلومينا:

ـ فهمت..!

هذا يفسر سبب غضب الرجال عليها وعلى بيدرو. وأنزلت كتفيها.. لم يعد الأمر مهماً الآن.. كل شيء انتهى! هذا ما قرره أوهالتشاو.. وضاقت حنجرتها بشكل مؤلم.. عما قريب سيخرجون من الوادي.. ويخرجون من موتني رافيردي.. وإلى الأبد..

* * *



## ١٠ ـ العالم ملك أيدينا

استرخت فيلومينا في مغطس حمام فاخر معطر، وسمحت لثرثرة سوزان المهتاجة أن تمر فوق رأسها.. ثم ابتسمت آلياً لإطراء الفتاة الأخرى المفرط لمزايا والدها.. لكن أفكارها كانت بعيدة جداً، ومن الصعب عليها أن تظهر الحماس لأي شيء. كانت تعرف أنها لا مبالية، لا تظهر الامتنان، لكن منذ أن خفت الإثارة لمغادرتها الوادي، والعودة إلى الريو، لتجد أن أباها هناك يقيم مع عائلة ويزلي، تملكها إحساس اكتئاب.. ومهما حاولت جاهدة لم تستطع إخفاء بؤسها، وكم كانت تتوق إلى أن يقوم والدها بالحجز لهما للعودة إلى انكلترا.

لكن وعلى عكس توقعاتها بدا أن ويليم دياري لم يكن مستعجلاً للعودة إلى الوطن.. وبالرغم من احتجاج فيلومينا، أصر والدها على أخذهم جميعاً إلى ناد ليلي ليلة أمس في الليلة الثانية لعودتها إلى الريو.

كان من الواضح أن ويليام وجد صحبة آل ويزلي جيدة، ولم يكن مستعجلاً للسفر وقد وجد سوزان بالطبع.. وأحست فيلومينا أنها سعيدة للظروف التي جاءت به بسرعة ودون توقع إلى حياة سوزان. لكنها لم تشعر بأي فزع تجاه ذلك، فسوزان فتاة لطيفة ولو

قرر والدها يوماً أن يتزوج مجدداً، فهي تفضل أن يختار سوزان، بدلاً من امرأة غريبة.. لكنها كانت تعرف بأن والدها، بالرغم من تمنعه بصحبتها، ليس لديه الرغبة في أن يتخلى عن استقلاليته.

تركتها سوزان تنهي حمامها بسلام، بعد خروجها استلقت فيلومينا بضع دقائق أخرى، كان يجب أن تشعر بسعادة كبيرة، لأن كل شيء سار جيداً، لكن كل ما كانت تحس به هو ضعف العزيمة والوهن.. منذ مغادرة لاباز قبل يومين، لم تقرأ أو تسمع أي شيء عن النزاع الداخلي في مونتي راڤيردي، وفي كل مرة تفكر بعواقب الفشل الممكنة، تحس وكأنها في كل لحظة تموت مائة مرة.. من الممكن أن يكون ريموند الآن صريعاً في مكان ما، أو يئن من جراحه البليغة، ويمكن أن يكون في طور الاحتضار، دون وجود أحد يساعده.. أو أنه لا يزال حياً في أحد سجون سواريز.

نهضت من المغطس تلف نفسها في منشفة حمام كبيرة، تتعمد إبعاد هذه الأفكار المريضة عن رأسها. يجب ألاّ تفكر به أبداً.. مهما حدث ومهما سيحدث، فهذا شيء لا علاقة لها به.. ويجب أن تبعده عن تفكيرها إلى الأبد.. لقد اختار ريموند أن يبعدها وهذا ما كانت تتوقعه.

خرجت إلى غرفة النوم، لتجد أن سوزان تركت لها المزيد من الملابس، فهي لا فكرة لديها ما إذا كانت ستستعيد ثيابها أم لا.. وبصراحة لم تكن تهتم.

تنهدت فيلومينا، بينما كانت تنزع المنشفة عنها وتبدأ ارتداء الثياب.. كانت تشد جوارباً من النايلون حين سمعت طرقات على الباب، وبعد تردد قصير دخل والدها. ويليام دياري رجل جذاب في أوائل الأربعين، شعره بني يميل إلى الشيب، وقسمات وجهه سمراء نحيلة، يضع نظارة طبية لقصر نظره، وهي تعطي وجهه مظهراً شاباً.



أغلق الباب خلفه وابتسم لها بمحبة:

ـ تبدين منتعشة.. هل تمتعت بالاسترخاء في المياه الدافئة؟

ردت فيلومينا ابتسامته:

ـ أجل.. شكراً لك!

ومدت يدها تأخذ أحد الفساتين التي أعطتها سوزان لها، وسألت:

ـ ماذا كنت تفعل؟

هز ويليام كتفيه وجلس إلى جانبها على السرير.

ـ لا شيء! أخذني ويزلي للقاء بعض زملائه.. لماذا؟

ـ دون سبب.. أقفل لي سحاب الفستان.

أقفل لها انسحاب.. ثم أبقى يديه على كتفيها وأدارها إليه.. لامس الدوائر السوداء حول عينيها:

ـ ما الأمر فيل؟ ما الذي يتسبب بكل هذا؟

أحنت رأسها:

ـ أعتقد أنني متعبة.. لقد مرّ بي وقت مرهق جداً..

هز رأسه يوقف كلامها:

ـ هذا ما ظننته في البداية.. لكن مضى على عودتك يومان الآن، وأنت تبدين متعبة أكثر مما رأيتك وأنت تنزلين من الطائرة في مطار «غالباو».. فيلومينا.. ماذا هناك؟ أخبريني.. هل حصل شيء في مونتي راڤيردي لا تودين التحدث عنه؟

أبعدت فيلومينا نفسها عنه، تدير له ظهرها، تأخذ فرشاة شعرها:

ـ وماذا يمكن أن يكون هناك؟

هز كتفيه:

ـ أخبريني أنت.. أنا أعرفك جيداً، وأعرف أن هناك ما يسبب الاضطراب لهذا الجبين الناعم.

تنهدت:

ـ هل ذكرت هذا لأحد من عائلة ويزلي؟ لسوزان؟

قطب:

ـ سألت سوزان إذا كانت تعرف ما بالك..

ـ وماذا قالت؟

تنهد:

ـ قالت لي شيئاً عن رجل التقيته في سفارة مونتي راڤيردي وتساءلت عما إذا كنت شاهدته مرة أخرى.

ـ هكذا إذن.. أتمنى لو أنك لم تقل لها شيئاً.

ـ لماذا؟ أنت ابنتي.. ولي الحق أن أعرف ما يزعجك..

جلست على حافة السرير:

ـ حسن جداً! كان هناك رجل اسمه ريموند مارتينز. والده كان يوماً رئيساً لمونتي راڤيردي.. ولقد اغتاله الديكتاتور الحالي سواريز.

هز ويليام رأسه ببطء:

ـ وما شأنك بهذا؟

ـ الرجل.. ريموند مارتينز، هو زعيم الثوار في مونتي راڤيردي.. الرجل الذي كان وراء اختفاء الطائرة!

ذهل ويليام:

ـ ماذا؟ أتعنين أن هذا الرجل، هذا الثائر.. يعني لك شيئاً!

أحنت رأسها أمام لهجته الغاضبة:

ـ أجل.. أنت لا تفهم.. هؤلاء الثوار ليسوا مرتزقة.. طموحهم فقط لخير بلادهم.

بدا الارتياب على ويليام:

ـ كلهم يقولون هذا.

ـ أعرف.. لكن في هذه الحالة بالذات، هذا صحيح.. ريموند



ليس من النوع الخارج على القانون! إنه رجل مثقف.. وسيعجبك.. الجميع معجب به.

هز رأسه متمتماً:

ـ حسناً! على الأقل تركتكم جميعاً دون أذى.

أحست فيلومينا بالتقلص المألوف في معدتها:

ـ أجل.. على أي حال.. لم يعد الأمر يهم الآن.

ـ ماذا تعنين؟

ـ أعني أن الثورة لا يمكن أن تكون قد نجحت.. كان المفترض أن تنتهي منذ يومين.

قطب:

ـ حقاً؟ أتساءل ما إذا كان هذا ما ذكره هؤلاء الرجال في النادي.

ـ أي رجال؟

ـ في النادي الذي أخذني إليه ويزلي.. كان هناك حديث قبل أن نغادر.. شخص ما جاء بآخر نشرة أخبار، وذكر شيئاً عن هذا الرجل، سواريز.. أنا واثق.

ضمت فيلومينا يديها:

ـ أتعرف ماذا قالوا؟

هز ويليام رأسه:

ـ لم أنتبه جيداً! وكان ويزلي يتكلم مع الآخرين.. ولقد غادرنا بعد ذلك فوراً.

ضمت فيلومينا شفتيها: أوه..

سار ويليام بقلق في الغرفة، ودس يديه في جيبي بنطاله، ثم استدار إليها:

ـ تعرفين أنني لن أقف في طريقك لو أنك وجدت الرجل الذي يمكن أن تشاركيه حياتك.. مهما كان مركزه الاجتماعي. لكن..

لم أتصور أنك قد تتورطين مع قاطع طريق ملتح في إحدى دول أمريكا الجنوبية!

نظرت إلى أبيها مترددة:

ـ ريموند ليس قاطع طريق، ولا ملتحي.. إضافة إلى هذا لا داعي لأن تقلق من هذه الناحية أبي.. ريموند لا يريد الزواج بي.

توقف ويليام عن ذرع الغرفة، ونظر إليها:

ـ وماذا يفترض بهذا أن يعني؟ أيعني أنه متزوج؟

هزت رأسها:

ـ لا.. بالطبع لا! كم مرة يجب أن أقول لك، ريموند ليس هكذا!

صاح بنفاد صبر: إذن ما هو؟

تنهدت فيلومينا:

ـ سيدخل مدرسة اللاهوت في تولينو.

نظر والدها إليها غير مصدق ما يسمع:

ـ وهل هو نفس الرجل الذي يقود الثوار؟

ـ أجل.

ـ وكيف يوفق بين مركزه المتوقع ومركزه الحالي؟

هزت كتفيها:

ـ أنت لا تفهم.. إنه يقوم بما يجب عليه، ثم سينضم إلى سلك الكهنوت.

ـ وهذا هو الرجل الذي وقعت في حبه؟

ترددت لحظة: أجل!

هبطت كتفا ويليام قلقاً:

ـ هكذا إذن! ولهذا لا تستطيعين أن تنامي.. ولهذا أصبحت كالطيف! بحق السماء فيلومينا.. ماذا دهاك لتقعي في حب رجل كهذا؟



لمعت عيناها:

ـ لم أستطع منع نفسي.

مرر يده في شعره:

ـ أعتقد أنك تفضلين مغادرة الريو في مثل هذا الظرف.. كل هذا لا بد أن يكون عذاباً لك.

ـ وكيف عرفت؟

تنهد:

ـ لقد مررت بكل هذا.. حين ماتت أمك أردت أن أهرب من كل شيء يذكرني بها..

تقدمت فيلومينا إليه تحتضنه بذراعيها:

ـ أنا آسفة أبي! أنت تستمتع بوقتك هنا.. أليس كذلك؟

ـ إلى درجة ما!

ـ ما رأيك بسوزان وقد كبرت الآن؟

ابتسم:

ـ وماذا يفترض أن يكون رأيي؟

ـ إنها معجبة بك.

ـ أعرف.. وأنا معجب بها.. لكن إذا كنت تفكرين بما أفكر به، فانسي الأمر.. ليس لدي الرغبة في التورط مع أية امرأة.

تنهدت:

ـ أوه أبي.. أتمنى.. أتمنى..

ـ لا تتمني شيئاً.. تعالي الآن، أسرة ويزلي تنتظرنا على العشاء.

بعد العشاء، سعت فيلومينا إلى خلوة المكتبة، حيث تعرف بأنها ستجد صحف المساء.. جاءت معها بمعجمها وجلست تبحث في الصحف عن اسم مونتي رافيردي.. أخيراً وجدته، وكان مقالاً صغيراً، ترجمته بسرعة إلى الإنكليزية. باختصار كان المقال يقول

إن الأنباء وردت لتوها عن ثورة في مونتي رافيردي، وإن سواريز خلع من السلطة، وجيش التحرير سيطر على كل شيء.. ولم يكن هناك ذكر لاسم القائد ولا شيء عن الخسائر.. ورمت فيلومينا الصحيفة بنفاد صبر.. وبقلب متألم عادت إلى الآخرين.. تساءل ما إذا كانت ستتمكن أن تفكر يوماً بريموند دون أن يمزقها البؤس إرباً.

بعد مرور أسبوعين على هذا الحدث كانت فيلومينا تسير في الشارع العام في «فرايروارن» وسلة التسوق في ذراعها، تتساءل ماذا ستحضر الليلة للعشاء.. قال لها والدها إنه قد يأتي معه بالبروفسور كوانرمان للعشاء، وبما أن هذه أول مرة يدعو فيها أحد منذ عودتهما من أميركا اللاتينية، فهي لا تريد أن تخيب أمله!

«فريروارن» لم تكن بالبلدة الكبيرة.. وشارعها الرئيسي هو منطقة التسوق فيها.. إنها بلدة من النوع الريفي الصغير، حيث يعرف الجميع بعضهم البعض، وكابتن للبروفسور ويليام دياري كانت فيلومينا عضواً معروفاً في المجتمع.

توقفت خارج محل الجزار، تنظر إلى اللحم المعروض بعينين فيهما تأمل.. وهي تتابع تفكيرها، شاهدت انعكاساً لصورة سيارة فخمة تمر بالشارع العام خلفها.. بدت مركبة غير مألوفة الوجود في هذا المجتمع، حتى أنها لم تستطع مقاومة النظر خلفها بعينين فضوليتين لترى بالضبط ما نوعها، ووضعت يدها على عينيها لتدرأ وهج الشمس.. كان جسم السيارة الكريمي اللون اللماع، الأنيق على بعد خطوات منها، ولاحظت أن عدة أشخاص غيرها يفعلون مثلها.

ثم قفز قلبها إلى حلقها بشدة كادت تختنق. وتراجعت مترنحة تستند إلى جدار محل الجزار، تفتش عن شيء تمسكه.. أي شيء يساعدها على التوازن.



ريموند كان يقود تلك السيارة!

لكنه لم يرها.. وقادها ببطء ليختفي اللمعان العاجي بسرعة خلف السيارات الأخرى.

ابتعدت عن الجدار، ووقفت لحظة طويلة تنظر إلى الطريق، مستعدة أن تصدق أنها تتخيل الأشياء.. ووقفت السيدة كولينز زوجة الطبيب إلى جانبها، تسأل:

ـ هل أنت بخير فيلومينا؟ تبدين شاحبة بشكل رهيب!

ابتلعت فيلومينا ريقها بشدة.. ثم استجمعت شجاعتها:

ـ أوه.. أجل! أنا بخير.. متعبة قليلاً، هذا كل شيء!

ابتسمت السيدة كولينز متفهمة، ثم نظرت في الاتجاه الذي سلكته السيارة.

ـ هل رأيت تلك الكاديلاك الرائعة؟ أتساءل لمن هي.. لا أظن أنني رأيت شيئاً مثلها هنا من قبل.

نظرت فيلومينا إليها: وهل رأيتها؟

ـ طبعاً! وأعتقد أن الجميع رآها.. الأميركيون يصنعون سيارات ضخمة جداً.. أليس كذلك؟

ـ ماذا؟ أوه.. أجل!

نظرت إليها السيدة كولينز متفحصة مرة أخرى قبل أن تقرر أن من الأفضل متابعة شؤونها.

لكن رأس فيلومينا كان يضج بالأفكار.. ماذا يفعل ريموند في «فرايروارن»؟ ليس هناك سوى تفسير واحد أرجفها..

نسيت كل شيء عن اللحم الذي تحتاجه للعشاء ذلك المساء.. واستدارت مهرولة تعود من حيث أتت في الشارع الرئيسي. لم تعد سيارة ريموند مرئية.. وتساءلت ما إذا كان قد حصل على عنوانها، وهو ذاهب الآن إلى هناك ولن يجد أحداً.

سارعت خطواتها، مدركة أن هرولتها كانت تلفت الانتباه،

لكنها لن تستطيع أن تسير الهوينا وكل كيانها يكاد ينفجر إثارة.

ثم خففت سرعتها فجأة.. إنها تترك لمخيلتها أن تجري بعيداً حتى لو كان ريموند هنا لرؤيتها فلا سبب يدعوها كي تفترض أن دوافعه شخصية.. حاولت تهدئة أنفاسها المتسارعة واستجمعت بعضاً من رباطة جأشها، لكنها وجدت أن هذا أقرب إلى المستحيل..

استدارت نحو شارع «ماكسويل كلوس» وغاص قلبها إلى أعماق كيانها.. لم يكن هناك أثر للسيارة الضخمة حقاً، فالشارع الصغير خال من أي حركة سير.

توقفت تنظر حولها، تتساءل عما إذا كان هنا ورحل مجدداً.. لكن ليس لديه الوقت الكافي ليرحل.. ترددت بارتباك عند زاوية الطريق.. هل تخاطر بالعودة إلى البلدة؟ نظرت إلى ساعتها، إنها بعد الحادية عشرة والنصف بقليل.. والدها لن يعود إلى الغداء اليوم، وبإمكانها العودة إلى البلدة.. فهي لم تتسوق شيئاً بعد.

لكن كانت عودتها إلى الشارع الرئيسي على أمل رؤية الكاديلاك العاجية مرة أخرى.. تبدو أمراً غير مقبول لديها أبداً.. لم تكن راغبة في مواجهة الناس في حالتها الذهنية المرتبكة الآن.

خطرت لها فكرة.. ماذا لو كان ريموند في انكلترا بسبب بعض الأعمال وقرر ببساطة المرور بالبلدة لمجرد الفضول؟ ماذا لو كانت رؤيته مجرد صدفة تعيسة؟ أحست بالغثيان في داخلها، واستدارت إلى شارع «كلوس» حيث منزل والدها، البعيد قليلاً عما يجاوره، والمحاط بمساكب الأزهار والشجيرات الشائكة.

سارت في الطريق الداخلية للمنزل، ودست المفتاح في القفل.. وفي الداخل ركضت بسرعة تصعد السلم إلى الحمام. داخل جوه البارد سمحت للغثيان أن يستولي عليها.. فيما بعد استندت بضعف إلى الجدار المكسو بالبورسلان ترتجف. إنها



حمقاء لتسمح لمشاعرها أن تدمرها هكذا.. لكنها تلقت صدمة كبيرة ولا زالت ضعيفة!

بعد أن غسلت وجهها ويديها حول صدغيها، نزلت إلى الطابق السفلي ببطء، تنظر إلى نفسها نظرة انتقاد في مرآة الردهة.. كانت تبدو كالأشباح، وهناك خطوط سوداء حول عينيها. وبينما كانت واقفة تنظر إلى نفسها، رن جرس الباب وأخذ صوته يضجّ في المنزل بإصرار.. فتحركت آلياً تفتح الباب مترددة، تتوقع جارتها أو زميلاً لوالدها.. لكن لم يكن هناك أحد منهم.. بل كان ريموند.

على الفور أحست بساقيها ترتخيان تحتها، فأمسكت حافة الباب كي لا تقع.. وقف هناك، يبدو نحيلاً جداً وجذاباً، يبذلة سوداء، قميصه الأبيض الأنيق يعكس لوناً جذاباً مع بشرته السمراء، بينما كانت تحس أنها على وشك الانهيار.

تمتمت:

ـ ريموند.. كم.. كم لطيف..!

وقف صامتاً يراقبها، فتحركت بارتباك.. تعي كم تبدو له غير جذابة.

ـ ألن.. ألن تدخل؟ والدي.. ليس هنا.. إنه.. في الجامعة!

دخل ريموند وأغلق الباب خلفه وهو لا زال ينظر إليها بحدة! استدارت لتدله على طريق غرفة الجلوس، تتمنى بيأس لو كانت غيرت فستانها ووضعت قليلاً من الماكياج.. ماذا سيظن بها؟

كانت غرفة الجلوس كبيرة ومريحة في مؤخرة المنزل تطل على المرج وعلى أشجار تفاح يعتني بها ويليام. أشارت فيلومينا له ليجلس، لكنه تجاهل إيماءتها، فأخذت تلوي يديها بتوتر.. تتمنى لو يقول شيئاً.. حين وصلت أعصابها إلى نقطة الانهيار، قالت:

ـ لو عذرتني.. سأذهب لأرتب نفسي!

ساعتها، وساعتها فقط، مد يده يمنعها، أصابعه قاسية على

معصمها، وسأل:

ـ هل كنت مريضة؟

ردت بسرعة:

ـ لا.. أعرف أنني أبدو مشعثة..

اسودت عيناه بغضب:

ـ أنت لا تبدين مشعثة! لكنني أريد أن أعرف من هو المسؤول عن هذا!

وأشار بأصبعه إلى شحوب وجهها.

ارتجفت فيلومينا في قبضته:

ـ دعني، سأذهب لأصنع بعض القهوة!

نظر إليها طويلاً، ثم ترك معصمها قائلاً ببرود: حسن جداً!

لم تتردد لحظة، بل استدارت واتجهت رأساً إلى السلم. ستعد القهوة، لكنها أولاً ستفعل شيئاً لمظهرها المضطرب. ليس لديها وقت كثير.. جلست إلى طاولة الزينة وبدأت تضع كريم التجميل على وجهها.. لكن، وبينما كانت تدعك بشرتها، سمعت صوت وقع أقدام تخنقها السجادة الناعمة، فاستدارت لتراه يقف بباب غرفة نومها، فهبطت كتفيها.. سيعرف الآن كم أنها مخلوقة حمقاء فارغة.

سألها بصوت أجش:

ـ ماذا تفعلين فيلومينا؟.. لقد سافرت الآلاف من الأميال لأراك، لأجد أننا لا نستطيع الكلام معاً.. الآن.. هل ستهربين مرة أخرى؟

وقفت متصلبة:

ـ ريموند.. لا أعرف ماذا أقول.. لماذا أنت هنا.. في انكلترا؟ ما.. ما الذي حدث؟

وقف ينظر إليها باكتئاب، يده تتلاعب بخصل من شعرها وقعت



على كتفها.. ثم سأل بخشونة:

ـ حدث لمن؟ لمونتي رافيردي؟ أم لي؟

ارتجفت فيلومينا بعنف وقالت: لكليكما.

فتشت عيناه عينيها بحدة تثير الاضطراب، وأحنى رأسه بضعها.

ـ كيف تسألينني هذا؟ لا شك أنك تعرفين!

ارتجفت، فأدارت وجهها إلى صدره.. الغثيان البارد أخذ يحل مكانه دفء غامر للمشاعر.. ودفن وجهه في شعرها، ويداه تضمانها.

قال:

ـ يجب أن أقول لك قبل كل شيء إنني لم أعد أنوي دخول معهد اللاهوت.

اتسعت عيناها: صحيح؟

هز رأسه: أجل!

ـ لكن.. كل شيء كان محضراً.

ـ لم يعد كذلك.. فيلومينا أنا لست رجلاً شريراً.. لكن كيف يمكن أن أخدم شعبي من خلال حياة الرهبنة؟ إضافة إلى هذا هناك سبب شخصي.. أنا أحتاج إليك ولا أستطيع العيش من دونك.. أنا مجرد رجل مثل بقية الرجال وأريدك زوجة لي.

لم تستطع فيلومينا أن تصدق ما تسمع:

ـ أوه.. ريموند.. ماذا يمكنني أن أقول؟

ـ بإمكانك القول إنك مغتبطة أو مرتاحة.. أو القول إنك تحتاجين إليّ ربما بنصف ما أحتاج إليك.

رفعت كتفيها:

ـ لا شك.. أنك تعرف.. مشاعري!

سأل بوقار: وهل أعرفها؟

ـ أوه.. أجل.. لكنني لم أحلم يوماً...

أمرها بلطف: أظهري لي هذا.

ابتلعت ريقها بقوة: أظهر لك؟

ـ أجل.. أظهري لي حبك.

وأنزل يديه إلى جانبيه.. ارتجفت فيلومينا، وليس من البرد.. بحركة مرتبكة تقدمت إلى الأمام، تقف أمامه قريبة جداً، لكنه لم يلمسها، فمدت نفسها على أطراف أصابع قدميها لتقبل خده النحيل.. ثم تراجعت إلى الوراء تقول بارتباك:

ـ أنا آسفة.

نظر إليها نظرة غريبة، ثم استدار ليخرج من غرفة نومها.. أرادت أن تركض خلفه لكن سنوات طويلة من الانضباط النفسي منعتها من هذا.. إدراكها أنه قد يكون تركها ملأ نفسها رعباً.. لقد كانت غبية، مخلوقة ناقصة لم تستطع، لم تجرؤ أن تكشف مدى مشاعرها.

بصيحة متشنجة رمت نفسها على السرير تسمح للدموع الساخنة أن تتدفق على خديها.

لكن، ما لم تكن مهيأة له، هو انخفاض الفراش المفاجئ إلى جانبها، وبدا ريموند تديرها إلى ظهرها، لينظر إلى وجهها الميال بالدموع ويتمتم:

ـ أوه.. فيلومينا.. هل ظننت أنني جئت كل هذه المسافة كي أتركك وأرحل؟

لم تتوقف لتفكر بما ستفعل، بل مدت ذراعيها تلفهما حول عنقه، تجذبه إليها وتغمر وجهه بالقبلات.

ـ ريموند! أوه.. ريموند!

تأوه:

ـ يا إلهي! أنا رجل فيلومينا.. ولست قديساً!



ابتعد عنها ووقف، يسير إلى النافذة، يعطيها الوقت لتستعيد شتات نفسها.. ثم استدار ينظر إليها بابتسامة خفيفة ترفع أطراف فمه.

ـ أكملي ارتداء ملابسك فيلومينا.. سأنتظر في الأسفل.

نزلت عن السرير، ولفت ذراعيها مجدداً حول عنقه: لا تذهب!

أبعدها عنه بلهفة:

ـ أنا مضطر أن أذهب.

استدار ليتجه إلى الباب قائلاً: لا تتأخري.

غسلت فيلومينا وجهها وهي تبتسم، ثم ارتدت فستاناً مشمشي اللون، ومشطت شعرها.. لم تضع أي ماكياج.. فخداها قد كساهما الاحمرار. ركضت تنزل السلم لتجده في غرفة الجلوس يدخن سيكاراً. كان يقف قرب النافذة، فتقدمت إليه تدس ذراعها بذراعه.. نظر إليها ثم قال:

ـ أريدك أن تعرفي فيلومينا أن عليّ العودة إلى مونتي رافيردي بعد ثلاثة أيام.

ـ ثلاثة أيام؟

ـ أجل.

تركت ذراعه وتقدمت بارتباك إلى المكتب:

ـ حسناً.. شكراً لتحذيري.

تنهد:

ـ لا تتصرفي هكذا فيلومينا.. لدي مسؤوليات.. لو أنك بقيت في مونتي رافيردي لكان الأمر أسهل.

نظرت إليه:

ـ لو بقيت هناك! ماذا تعني؟

قطب، ينفض رماد سيكاره في منفضة:

ـ تعرفين ما أعني.. رحيلك هكذا مع الآخرين! لا شك أنك

عرفت يوم خرجنا في النزهة أنني لن أتمكن من تركك!

ـ لكنني لا أفهم ريموند.. لقد رحلت بناء لأوامرك!

رد بمرارة:

ـ لا.. لم يحصل هذا!

هزت رأسها:

ـ لكنه حصل! الطيار جاء يأخذني.. قال إنك أمرت أن نرحل جميعاً بسبب اقتراب موعد الثورة.

رد بحدة:

ـ لقد أمرت برحيل الآخرين.. وليس أنت.. على أي حال ماذا تعنين أن الطيار جاء وأخذك؟ هذا مستحيل.. ما من أحد يستطيع الدخول إلى الڤيلا دون السماح له، أو دون إيقاظ سكان المكان كلهم.

ـ أنا لا أكذب.

ـ أتعنين أنه استدعاك من فراشك فعلاً ولم تكوني على علم بشيء مسبقاً؟

ـ لا.. بالطبع لا!

نظر إليها بحدة.. ثم تقدم إليها يمسك يدها بيده:

ـ أعتذر.. كان يجب أن أعرف هذا.

ـ تعرف.. تعرف ماذا؟

وضع شفتيه على يدها:

ـ ظننتك على اتصال بالآخرين.. وأنك هربت معهم.

ـ ألم يخبرك أحد؟ كنت واثقة أنك أنت رتبت الأمور.

ـ شخص ما رتبها.. هذا أكيد.. وأظنني أعرف من.

ـ أمك؟

هز رأسه:

ـ أنا متأكد تقريباً.. ما من شك أن هناك من يساعدها. وربما



أندرو.. أعرف أنه جاء إلى الڤيلا قبل اختفائك.

ضغطت فيلومينا على يده:

ـ وظننت أنني هربت منك مجدداً؟

ـ يجب أن تعترفي أنه افتراض معقول.

ـ لم تخبرني لماذا يجب أن تعود بسرعة. قرأت في الصحف أن الجيش يتولى الأمور الآن.. هل ستصبح رئيساً للبلاد؟

هز رأسه متنهداً:

ـ لست أدري.. فبعد اختفائك، لم يعد لدى أمي أي شك في مشاعري نحوك.. ولولا المخاطرة في انهيار كل خططنا، للحقت بك، مهما كانت النتائج.. لكنني لم أستطع ترك رجالي.

أحنت رأسها:

ـ لقد قلت إنك قررت أن لا تدخل مدرسة اللاهوت.. هل أخبرت أمك بهذا؟

ـ آوه.. أجل.. قلت لها لولا تدخلها لتزوجتك على الفور، وفي مونتي رافيردي.

اتسعت عينا فيلومينا:

ـ لكن أي تدخل..! أنت لم تكن تعرف بعد الحقيقة عن هربي.

ابتسم:

ـ لا.. لكنني عرفت أنها تسببت لك بالكثير من الألم.. بيدرو أخبرني بهذا.. ولمتها على هربك.. كما كنت أظن يومها.

وضعت رأسها على كتفه:

ـ أوه ريموند.. لست أدري ما كنت سأفعل لولا مجيئك؟!

لامس خدها:

ـ خطوط التعب هذه وقلة النوم.. أكانت بسببي؟

سألت دون خجل: ومن غيرك؟

هز رأسه:

ـ يمكن التعويض عن هذا.. مع ذلك يجب أن أعود إلى مونتي راڤيردي.. فهناك عمل لم ينته بعد.. لم يعد هناك رجل قادر أن يستولي على الحكم دون موافقة الشعب ودعمه.. بعد ثلاثة أيام ستبدأ أول انتخابات رئاسة ديموقراطية في تاريخنا.. ثم سيبقى من يتم انتخابه في السلطة لخمس سنوات فقط.. هذا جيد.. أليس كذلك؟

عضت شفتها:

ـ بكل تأكيد سيختارونك.

ـ ولو فعلوا؟ ألا يمكنك تحمل أن تكوني السيدة الرئيسة؟ ألا تتحملين العيش في مونتي راڤيردي لخمس سنوات على الأقل؟

تعلقت فيلومينا به بجرأة وقالت:

ـ طالما أنت معي، أستطيع العيش في أي مكان.

أحنى رأسه يعانقها وقال:

ـ قلت إن والدك لن يكون هنا.. يجب أن نخرج للغداء..

ـ لا سنبقى هنا.. وسأطهو لك الغداء لمجرد أن أظهر لك قدراتي.. فيما بعد، سنخرج، وسأريك بلدتي الصغيرة، وستنظر النساء كلهن إليك ويحسدنني!

ـ حسن جداً.. سنبقى.. أنا لا أريد الخروج من هنا. صدقيني.. لكن، ماذا سيحدث لو وصل والدك؟

أمالت رأسها إلى جانب واحد:

ـ أنا واثقة أنه سيجد سياسات بلادكم مثيرة للاهتمام.

ـ لكن هل سيسمح لي أن آخذك معي بعد ثلاثة أيام؟ فأنا لن أسافر دونك الآن.

هزت كتفيها وتنهدت:

ـ أعتقد هذا! لكن تبقى هناك مشكلة أمك.



اسودت عيناه وقال بعجرفة كل أسلافه:

ـ والدتي لن تكون مشكلة.. بعد زواجنا ستترك ڤيلا كاليرهاو وتعيش مع أختها في «أوريلا دل وار».. وسيكون المكان لنا وحدنا.. ولفترة على الأقل.

احمرت وجنتا فيلومينا لتلميحاته وضغطها عليه أكثر متمتماً:

ـ لفترة طويلة.. أريدك لنفسي..

رأت فيلومينا الهوى المشبوب يقفز في عمق عينيه البنيتين، فلامست وجهه بأصابعها:

ـ ولو أصبحت الرئيس.. ماذا سيحصل؟

هز كتفيه العريضين:

ـ سنضطر ساعتها للعيش في القصر الرئاسي في سوازينوڤا.

ـ يبدو هذا رهيباً..

ابتسم:

ـ حقاً؟ لماذا؟ سأكون معك.

ضمته بقوة إلى صدرها، وقالت بكل ثقة:

ـ أجل.. ستكون هناك.. أليس كذلك؟

هز ريموند رأسه، عيناه تداعبانها.. ثم قال بصوت أجش:

ـ أينما نعيش سنكون دائماً معاً.. حين تنتهي أيامنا هناك سنسعى إلى عالم من صنع أيدينا..

تمتمت فيلومينا بشوق:

ـ أوه.. قريباً! قريباً!

* * *



www.rewity.com

# روايات احلام

## قضبان من حرير

نظرت فيلومينا إليه بصبر نافد ... كان صعباً جداً اختراق واجهته القاسية ... وانتهى لقاؤها القصير بريموند قبل أن يبدأ ، كشعلة نار أطفأتها ريح قارسة ...

لماذا إذن اختطفت الطائرة التي تقلها؟ وماذا يريد منها ؟

قالت له : « إذا كنت تريدني فما ذنب باقي الركاب ؟ دعهم وشأنهم ! » .

لكنه أعلن لها : « قراراتي لا تتدخل فيها الرغبات الشخصية ... وما عليك إلا انتظار ساعة الصفر ! »

وهكذا بقيت فيلومينا رهينة ريموند مارتينز ، مصيرها معلق بقرار منه ، فإما الموت خوفاً أو ... حباً !؟ ... ولكن هل يمكن أن تحب المرأة سجّانها ؟


| | | |
|---|---|---|
| لبنان ٢٠٠٠ ل . ل | الإمارات ٦ د. | مصر |
| سوريا ٥٠ ل. س. | قطر ٦٠٠ ر. | المغرب |
| الأردن ١ د. | البحرين ٦٠٠ ف. | تونس ٥ . |
| الكويت ٥٠٠ ف. | السعودية ١٠ ر. | عمان ٦٠٠ . |